دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النقد الأدبي والعلوم الإنسانية
المصدر:	علامات في النقد
الناشر:	النادى الأدبى الثقافي بجدة
المؤلف الرئيسي:	المسدي، عبدالسلام
مؤلفين آخرين:	الواد، حسين، أبو مدين، عبدالفتاح، القاضي، محمد، صمود، حمادر(م. مشارك، مؤلف)
المجلد/العدد:	مج 2, ج 6
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	11 - 59
رقم MD:	204406
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الفلسفة، النقد الأدبي، العلوم الإنسانية، علم الدلالة، التاريخ، اللسانيات، الأدب، الأدب المقارن، الندوات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/204406

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ورد التحية

أستسمح أخوتى الكرام فى الترحيب باسمهم وباسمى الخاص ولكن أيضاً نيابة عن زميلنا الدكتور محمد الهادى الطرابلسى عميد الكلية بالأستاذ عبدالفتاح أبومدين أخاً كريماً وصديقاً عزيزاً علينا جميعاً ، كما أشكره جزيل الشكر للكلمات التى تفضل بها فى مفتتح ندوتنا هذه والتى عبر فيها عن عواطفه النبيلة تجاه بلدنا : تونس ، وتجاه جامعتنا بمختلف مؤسساتها الأكاديمية ولاسيما بكليتنا هذه التى ننتمى إليها وتحتضن ندوتنا : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنوبة .

كما يسعدنى أن أشكر الأستاذ عبدالفتاح أبومدين للخير الكبير الذى تفضل به متحدثاً عن جيل النقاد والباحثين فى هذه الديار ، وليسمح لى بالتعبير عن اعتزازنا جميعاً بثقة النادى الأدبى والثقافى بجدة عندما قرر افتتاح هذه السنة الحميدة فى تنظيم الندوات ونشرها فى « علامات » فبدأ بلقائنا هذا .

وأثنى كذلك باعتزازنا الصادق بهذا الجهد الذى يبذله القائمون على شؤون النادى الأدبى بجدة والذى تجسم ـ ضمن ما تجسم فيه ـ فى هذا الإنجاز الرائد : « علامات فى النقد الأدبى » .

فأهلاً وسهلاً بالأستاذ عبدالفتاح أبومدين فى بلده وبين أهله وذويه .

عبدالسلام المسدى

الورقة المقدمة إلى الندوة

عندما بادر رائد البحوث الأنثروبولجية ليفى ستروس فى أواخر الخمسينيات بالدعوة إلى تعاون وثيق بين البحوث الإنسانية ولا سيما بين العلوم التاريخية والعلوم اللغوية بكل فصائل هذه وتلك لم يكن فى حقيقة الأمر مبتدعاً لمنهج التمازج ابتداعاً من عدم ، ولكن فضله يومها أنه حول مبدأ التظافر بين الاختصاصات إلى قضية فكرية تُطرح فى ذاتها ويتوخى الدارسون لها مسلكاً فى النظر والتمحيص يتميز فى آن واحد بمنطلقاته المنهجية وبغاياته القصدية .

ولئن كان الأدب عبر تاريخ الحضارات الإنسانية المتعاقبة هو الحقل الذى مَثَّل أكثر من غير التقاء الروافد الإبداعية لدى الإنسان ، وتَعانُق المشاغل الفكرية حوله ، فإن بروزه على الواجهة الأمامية في جدل التكامل المعرفي لم يتحقق غي عصرنا إلا بفضل الثورة المنهجية التى واكبت النهضة العلمية فى حقل العلوم الإنسانية قاطبة ، والذى زاد حقل الأدب وما يرتبط به من مجالات الفحص والاستكشاف خطوة فى سياق تظافر الاختصاصات هو بلا أى شك الثمرات التى أنتجتها المسيرة الطويلة من المعاضدة والاستثمار المشترك بين

العلوم اللغوية والمعارف النقدية مما بدا معه النجاح باهراً على صعيدى المضمون العلمى والمسلك المنهجى فَجَرَّ إليه كثيراً من النظائر المجانِسة .

وإذ يكاد يصبح اليوم من لغو القول أن يتواصل الجدل حول مدى انتفاع العلوم بعضها من بعض ـ خاصة بعد أن سلَّم الجميع بأن لا سبيل للإنسان الحديث فى أن يَقِىَ نفسه من أُمِّيّة العارفين إلا إذا عول على استثمار الحوار الدائر بين المتخصصين فى المجالات المختلفة ـ فإن على النقاش اليوم أن يتحول مدارُه من مبدإ تظافر العلوم نفسه إلى الإشكالات الأساسية التى ما انفكت تتولد من ذاك النجاح القاطع الذى حققه تمازج الاختصاصات ، على أن أطراف الحوار فى هذه الشبكة المعقدة من العلاقات المعرفية هم كذلك متوزعون تتجاذبهم نزعة الميل إلى الحقل المستفيد من غيره من جهةٍ ، ونزعة الانحياز الى الحقل الموفر للفائدة من جهة ثانية ، وبين ناطقٍ باسم تظافر المعارف ، وهو المستثمر لذلك فى مجاله ، ومُناصرٍ للتظافر وهو فى موقع لسان الدفاع عن العلوم الخادمة لغيرها تنبرى اليوم تساؤلاتٌ جوهرية تُقدّر أنها تُؤذن بجدل جديد ذى هوية معرفية خاصة وامتدادتٍ استشرافية لعلها ستغطى بمظلتها جداول عديدة فى المستقبل القريب .

ولعل قطاع الأدب وما يطوف به من معارف نقدية فى فلك العلوم الإنسانية يعيش اليوم نمطاً من هذه الإشكاليات الجديدة بكثافة وحدة كما لم يعرف ذلك أى حقل آخر من الحقول التى تعاقبت عليها آليات التمازج المعرفى . فالمباحث المتصلة بالأدب قد بلغت حداً من التوزع من حقنا الآن أن نخشى معه على المعرفة النوعية من التناثر بل ومن فقدان الهوية المميزة . وإذا جاز للجميع أن يقر معنا أن النقد الأدبى إلى حد اليوم قد كان من بين العلوم الإنسانية هو المستثمر الأكبر للتمازج المنهجى والتظافر المعرفى فإننا نزعم أن النقد الأدبى يمكن ـ بموجب الأسباب ذاتها التى أدت إلى ازدهاره الفريد ـ أن يكون هو الخاسر الأكبر على مستوى تميز الخصوصيات المعرفية ونصاعة الهويات الذاتية بين معرفة وأخرى .

وبناء على هذه المساءلة أضحى ملحاً علينا أن نقلب النظر فى شبكة العلاقات القائمة بين النقد الأدبى وأبرز العلوم الإنسانية من حيث هى جملة المعارف المقابلة لما يصطلح عليه بالعلوم الدقيقة ، وجلى عندئذ أن مفهوم البحث الإنسانى يشمل كل ما يتصل بالإنسان فى وجوده الفردى وفى وجوده الجماعى دون اعتبار للثنائية التصنيفية التى تُحتِّم فى بعض المساقات فصل العلوم الإنسانية عن العلوم الاجتماعية .

أما الهدف الذى نرتسمه من هذا الطرح فليس البتة زرع الشك فى مبدإ تظافر النقد الأدبى مع المعارف المحايثة ولا بذر الارتياب من ثمراته المنهجية وإنما هو إثبات شرعية العلاقة بين النقد الأدبى وأفنان العلوم الإنسانية بما يحفظ لكل طرف من طرفيْها خصوصيته النوعية حتى لايتحول التظافر إلى تداخلٍ يخرجه عن مقاصده بإذابة إحدى الهويتين ، فمرامنا إذن هو فى نفس الوقت وبنفس الحرص الدفاع عن منهج التكامل ومحاولة تحصين مجال الأدب عامة مما أصبح يضايقه فى أدق مراسمه النوعية .

ولقد بدا لنا أن القضية لما كانت تمس جوهر وجود المعرفة ذاتها ـ التى هى فى مقامنا نقد الأدب ـ فقد لا يساعدنا كثيراً استعراضها من زاوية سلم العلاقات الثنائية القائمة بين النقد وسائر المعارف كلٍ على حدة ، لأن مثل هذا المسلك ربما يكون هو الأكثر وجاهة والأقرب إلى المناولة لو لم يكن الإشكال المعرفى دائراً على جوهر العلاقة التكاملية ذاتها . ولهذا السبب سنتخذ مداخلنا إلى القضية انطلاقاً من مداراتٍ ثلاثة نزعم أنها تمثل مقابض النفس الأدبى وهى لتلك العلة أَزِمةٌ بيد النقد يحاصر بفضلها جوهر الفعل الإبداعى ، وهذه المدارات هى الدلالة والتأثير والقيمة .

تُعتبر الدلالة المنفذ الواسع إلى الأدب إذ لا ولوج إليه إلا من بابها ، وسواء أصَدَق ما يلتقطه القارىء المتمتع بالأدب وما يستكنهه الناقد المتمعن فيه أم لم يصدق ، وسواء أكان ما حصل لدى هذا وذاك متفرداً لديهما فى بُعده الدلالى أم تعددت دلالته ، بل وسواء أحصلت الدلالة فعلاً أم انحجبت تحت ستائر

الغموض الإبداعى كما يروق للبعض أن يعلل فإن مناط النقد من أى الأسلاك مَسكته ليس إلا كشفاً لحجب المعنى من وراء حُلل اللغة .

غير أن هذه الوظيفة التى تبدو جوهر النقد الأدبى هى فى حقيقة أمرها مَوطىء قدم الكثير من العلوم الأخرى : كل واحد يصادر على أنها جوهره ، وليس لأحد أن يمتلك حق إقصاء الآخرين عنها مادام موضوعها هو الدلالة بدون حصر : نعنى بإطلاق اللفظ مصحوباً بالتعريف الدال على جنسه ، وما النعوت التى يلتجىء الناس إليها فيردفونها إلى لفظ الدلالة لتخصيص معناه ـ كقولهم الدلالة المنطقية أو الدلالة التاريخية ـ إلا حجة كبرى على أنه ملك مشاع ليس بوسع علمٍ أن يدعى بمفرده ملكيته العينية .

ولعل أولى المعارف بقضية الدلالة وأكثرها فى نظر أهلها تهيؤاً لاستيعابها هى الفلسفة فكل قضيتها إماطة النقاب عن الأشياء وعن الوقائع وعن الظواهر حتى يدرك العقل حقائقها من خلال كشف دلالاتها . وحتى الحكمة ـ التى كأنما انصب فهم الناس لها على مدار السلوك ـ فإن معالمها لا تنبثق إلا بإحكام معنى الأشياء والقبض على مفاتح أسرارها .

وسواء أطاف خاطر الفيلسوف بما يقع عليه ناظره من آثار فعل الإنسان فى التاريخ ، أو جال فى ظواهر الكون من خلال تجليات الطبيعة ، أو حام ـ تحت وقْع النظر المجرد والتصور المحض ـ حول كل ما صاغه العقل الإنسانى من فكرٍ يتولد بعضها من بعض ليضيف هو بدوره تركيباتٍ أُخر تظل صياغاتٍ مَولدها اللغة ومرجعها علاقة الإنسان بها فإن غاية القصد عنده إنما هى أن يدل بعد أن يكون قد استدل . والأمر هو الأمر سواء أدار الموضوع على الفلسفة العامة أو على مجال علم المنطق منها . وليس بِدعاً أن الفلسفة لا تنفك عن النظر فيما يبدعه الإنسان من حَرفٍ وكلمة كما لم يكن بدعاً أن الفلاسفة لم يستكملوا دوائرها منذ منشئها إلا بالتنقيب فى أرض الخطابة وإجراء الحفريات العميقة فى خبايا الشعر .

وينازع الفلسفة فى أمر الدلالة علم التاريخ إذ هو ـ بوجهٍ رئيسى من وجوهه ـ بحث لا يَنِي عن معنى الواقعة التاريخية حال الفراغ من تحقيق

حصولها . والسعى وراء معنى الواقعات يرتد إلى أنساق الدلالة فى الوجود بصورة شاملة . ولأمر ما من كل هذا كانت لعلم التاريخ مضارب قوية فى حقل النقد الأدبى حتى لكأنه تخطى بها مواقع الفلسفة ثم استبد بأعناق الأدب فخيل للناس أن لا مدخل إلى فهم الأدب إلا من بابه وأن لا ملجأ إلى شىء بعد الفراغ من ذلك إلا إليه أيضاً : ففى المد الأول نقدٌ خالص لذاته ، وفى المد الثانى نقد يبحث لكل أدب عبر التاريخ عن جنيسه ليقرن بين المِثْل والمثل فيناظر بين الألسنة ويُماهِي بين الأقوام ، ولا نخال أن تياراً من تيارات النقد قد مَكن علم التاريخ من الأدب بقدر ما فعله الأدب المقارن ، فقد فاقت معه سلطة التاريخ ما كنا نظن أنه السَّنَم الأعلى مع ما عرف بتاريخ الأدب .

وإذا ما قَصَر علم التاريخ نفاذه إلى النقد انطلاقاً من مقولة فهم الأدب ـ إذ طالما أكد الناطقون باسم التاريخ أن كفيلهم هو القادر وحده على الولوج بنا إلى حقيقة النشأة فى الواقعة الإبداعية ـ فإن علم الاجتماع وهو الابن الذى ظل حيال التاريخ يتموج بين بِرٍ وعقوق قد جاء يَزعم أن بيده مفاتيح تفسير الأدب ملوِّحاً فى ذلك بأن مجرد الفهم فى الأدب ليس إلا وقوفاً عند العتَبات ، وبأن المكنون الذى يروم النقد مكاشفته إنما هو العلل القابعة من وراء الأدب ، ولا سبيل إلى تفسيرٍ ولا إلى تعليل إلا بجواز علم الاجتماع : فهو الكاشف للدلالة .

وما إن تسلل بين علم التاريخ ـ وهو المدعى الانفراد بالبحث فى وقائع الوجود عندما تتنزل على محور الزمن الطبيعى ـ وعلم الاجتماع وهو الذى حول وجهة النظر من محور التسلسل الطبيعى إلى قبلة الارتباط الجماعى ، نمط جديد من المعارف هو علم الأجناس البشرية ـ الانثروبولوجيا ـ حتى تداعى إليه النقد مستسهلاً الخروج من ثنائيتين : جدل الزمن مع الأديب وجدل الأديب مع المجتمع . وتم الانسياب على مَركَح الإنسان من حيث هو جنس فى الوجود قوامه النسق الرمزى ، ودخل النقد بالأدب مُختبر كيمياء الرموز .

وصادف أن هذا اللقاء قد تزامن مع مصاهرةٍ أخرى من مصاهرات النقد مع العلوم الإنسانية كانت الدلالة أبرز عقد من عقودها وتلك هى مصاهرة النقد

مع العلوم اللغوية فى أحدث تجلياتها ، وكان القرآن على وجه التخصيص قائماً على علم الدلالة ذاته .

وبين اللسانيات التى تنبش فى مكونات المعنى اللغوى والأنثروبولوجيا التى تحفر تحت قواعد الرمز العلامى انبثقت السيميائية مزيجاً متناسقاً لا يفتأ النقد يستقى منه حتى ليكاد عند البعض يتماهى وإياه .

وهكذا بدا جوهر النقد الأدبى مورداً طيعاً ينقاد أمره لكل من أتاه فتوزع موضوع الدلالة بما لم يعد عليه بالفائض الذى كانت عشيرة النقد وقبائل الأدب ترتقبه ، والذى أطال يد العلوم الإنسانية على لباب الأدب أن النقد لم يحسم أمره فيما إذا كانت غاية الغايات فى أدبية الأدب مرتهنة بمضمون دلالته أم متعلقة بتركيب صياغته ، ولا يفيدنا شيئاً كثيراً فى حفرياتنا المعرفية أن نتسلق المركب السهل فنقول إنها هذا وذاك .

وبحكم هذه المكافحة الصورية ذات السليقة القاسية على مالك الأدب ومتسوغه معاً تتلقفنا بمجرد إحساسنا بالمأزق المعرفى النافذة الأخرى التى بها قوام الأدب وعليها اعتماد النقد ألا وهى قضية التأثير ، وليس من نهلٍ يرده الناقد بين مضمون دلالة الأدب وأنساق صوغه اللغوى إلا وهو واجد من ينازعه فيه القول ويقاسمه عليه الحكم .

وموضوع التأثير قضية شائكة لم يكابر فى شأنها علم من العلوم فيستسهلها ، فكل المعارف تتهيبها إلا نقد الأدب ، فلعله المعرفة الأكثر انغماسا فيها : يأتى مغامرتها غير المأمونة ويرتاد منها نُجوماً لا تطؤها العلوم الأخرى إلا متقيةً ما يتولد منها عليها .

والسبب فى كل ذلك ـ بيقين قاطع ـ أن موضوع التأثير تتغير عناصره وتتبدل ضوابط البحث فيه بمجرد تغيير زاوية النظر التى يتخذها الرائى سمتاً له : فالتأثير يرتد فى كل مرة إلى طرف مؤثر وطرف متهيء لقبول الأثر وأدوات هى المعاول تحدث فعل التأثير ، وجميع ذلك ملتف بحال الباحث فى الظاهرة الكلية نفسها .

فطبيعى إذن أن يكون الإشكال ملتقى لمسالك تنصب فيه روافدها ويظل

النقد يراودها وتراوده بحثاً عما به يفتح الأقفال . والسر فى هذا الانسياب المعرفى أن النقد الأدبى لم يعرف الى حد يومنا هذا بشكل حاسم هل ان دراسة الناقد لموضوع التأثير مرتبطة بتجربة التأثر أم منفصمة عنها ، إذ لم يجب أحد عن التساؤل : هل إن الناقد لا يكون ناقداً مستوفياً حق النقد إلا إذا عاش بامتلاءٍ تجربة الإحساس الإبداعى أم إنه لا يكون ناقداً حقاً إلا إذا انقطع إحساسه عن التأثير الذاتى بالإبداع حتى لا يتهم فى موضوعيته . ويظل السؤال متجدداً : هل الناقد هو الذى يسكنه هاجس الخلق أم إن ملاك الفن إذا استدرج إليه امرئا حال بينه وبين قولة النقد ، ولندع رأى من يلاطف الصعاب فيقول : كلاهما جائز .

ومن صميم ما سلف يقفز الى الصف الأمامى فى التمازج المعرفى علم الجمال ليؤسس المدخل المعزز إلى مجال التأثير بما فى ذلك التأثير المنشود من الأدب والحاصل به ، طالما أن القول الأدبى هو ضرب من الفن ، وأن نظرية الجمال تشمل ما تولد منه فى الطبيعة ، ثم ما حصل من الإنسان بالوضع المبتكر فى الطبيعة .

وما كان للأمر أن يتعقد فى مصاهرة النقد الأدبى لعلم الجمال لو أن هذا العلم قد ظل على وحدانيته المعرفية ، ولكنه حينما حاول رواده منذ القدم إقامة معماره النظرى وزعوه إلى شِعَبٍ كبرى هى فلسفة الفن وسيكولوجية الفن وسوسيولوجية الفن ، فإذاً بنا من جديد نقف على قطب الدوران فى التمازج المعرفى ضمن أبرز أركان العلوم الإنسانية مما زاد النقد تَيهاً بقدر ما أغناه مضموناً وأخصبه استكشافاً .

غير أن نظرية الفن بما هى رديف لعلم الجمال لم تجد بداً من مداخلة علم النفس بل ومن فسح المجال أمامه يداخلها بأدق خصائصه وهو البحث فى التأثير ، ومعلوم أن البحوث النفسية من أى المنطلقات صادرنا عليها لا تنفك عن استكشاف عوامل التأثير ببصماته التكوينية والانفعالية ، وهذا إذا ما صدق على مجال البحث النظرى فهو على علم النفس التحليلى أصدق .

ومن طرائف ما يحصل على تخوم التظافر المعرفى الذى نؤمه فى سياقنا هذا دون سواه أن الأدب والجمال واللغة والفن يلتقى جميعها على لوحة التشريح فى مُختبر النفس التحليلى ، وذلك فى زوايةٍ من زوايا كل عيادة نفسية ، وقد لا يكون من فائض القول أن ننبه هنا إلى كل الثمرات التى أينعت بها مصاهرة النقد لعلم النفس مع ما تولد بعدها من جدل مستطيل لا تعيننا إلا بإسهام نزير فيما نرومه من تأسيس معرفى ذى أبعاد متعددة ومتواقتة فى آنٍ معاً طالما أننا نحاول التركح على إبرة التوازن بين النقد والعلوم الإنسانية فى غير جَذبٍ بغاية التوظيف وفى غير تراجح بين موقع وآخر .

ولعل من أبرز ما يطلعنا على دقة التشابك فى هذا الموضوع ما يرتطم به التحليل الأسلوبى اليوم بعد أن تشيدت بناياته النظرية ، ولم يكن لجوء الأسلوبية العصرية عند تحليل النصوص إلى افتراض قارىءٍ متمتع بالنص ، وقارىءٍ أوفَى يتماهى الناقد مع صورته إلا انعراجاً يتفادى به علم الأسلوب مواجهة القضية الأم ، وهى قضية التأثير ومدى أحقية كل طرف من الأطراف الداخلين ضمن عملية النقد فى النيل منها .

ولئن تعذر علينا فى ضوء تصنيفية العلوم القائمة لدينا راهناً أن نتحدث عن الإيديولوجيا كما لو كانت ضرباً من المعرفة قائماً بذاته ، أو كما لو استقامت نداً يضارع سائر ما نفيض فيه تحت مظلة العلوم الإنسانية ، فإن شيئاً من الفلسفة وشيئاً من علم السياسة ثم شيئاً من سوسيولوجية الثقافة إذا اجتمعت وتظافرت أجازت لنا الحديث عن مزيج هو ليس دائماً من الأخلاط المتنافرة بما أنه فى هذا السياق بالذات يمثل لنا ما قد يصطلح عليه بالخطابة السياسية ، وفيها الكثير من مقومات النقد والعلوم الإنسانية .

على أننا لو رمنا استنزاف عناصر الموضوع لكان مستحباً أن نُفيض فى علم الخطابة الجديد أعنى الخِطاب الإعلامى ومقومات الخيال الأدبى فيه . ولعل جدلية التأثير بكل إشكالاته لم يسبق لها أن توضحت يوماً أو كشفت عن أقنعتها المذهلة كما تتوضح اليوم وتُسفر مع آليات التواصل الإعلامى الحديث .

ومرة أخرى نقف وجهاً لوجه من منطلق مأزق معرفى آخر حيال قضية التوظيف ومدى أهلية أى طرف فى أن يُجيز صكوك البراءة أو يصادرها ، وهو ما يسلمنا تواً إلى موضوع القيمة . وأول ما يطالعنا فيه ضمن دائرة التقاطع بين النقد الأدبى والعلوم الإنسانية قضية علاقة الأدب بالحقيقة ومدى ارتباط العملية النقدية باستقرائها من خلال كشف مقومات النص الأدبى . ومرد الصبغة الإشكالية وما يصاحبها من طبيعة خلافية هو تجذُّر موقفين متناظرين تناظراً مرآوياً بشكل لم يَجز لأحدهما معه أن يهادن الآخر :

فالأدب من وجهة نظر ما لا مهرب له من أن يؤدى ـ فى مضمونه وأحياناً فى شكله ـ شهادة ما عن الواقع ، وهو فى هذه الصورة لا ينفك عن وظيفة توثيقية تصاحب وظيفته الفنية المحض .

والأدب من وجهة نظر مقابلة إذا تقيد بأداء الشهادة عن الواقع تنكب عن طبيعته وحكم عليها بالانسلاخ من الإبداع إلى التدوين وهو إيذان بانتفائه .

وبين التصورين يقف النقد متذبذباً مع مشكل الحقيقة : أتمثل حيزاً فى دائرة اختصاصه أم إنها العنصر الدخيل الذى إذا حضر أفسد عليه مرامه !

ومما يزيد القضية إرباكاً أن مفهوم الحقيقة عند القائلين بمداخلة الأدب لها قد توزع على حقول كأنما كل واحد منها يغرى بالانخراط فيه :

فالحقيقة التى يمكن للنقد استقراؤها من الأدب قد تكون حقيقة فردية ترتبط بالفرد الأديب وتعين على كشف مكوناته فيكون علم النفس الحكم الفصل فى هذا الضرب من التمازج .

وقد تكون حقيقة جماعية باعتبار أن الأدب مرآة من مرايا المجتمع وأن الأديب لا يكتب أدباً إلا وهو يقصد إشراك من حوله فيه ، وينبرى علم الاجتماع عندئذ مدعياً الحق الأوفى فى استنطاق الأدب وعارضاً سخاءه على النقد يعينه على استكناه الحقيقة الاجتماعية التى تشيع ملكيتها بين الأديب ومن حوله .

ولكن الحقيقة المدّعاة قد تصطبغ بصبغة الحقيقة التاريخية عند أهل هذا الرأى الذين يجوّزون الحديث فى النقد عن الحقيقة ويربطونها بمبدإ القيمة ، وتنطلق المساءلة : إلى أى مدى يسوغ اعتبار النص الأدبى وثيقة تاريخية ، وإلى

أى حد يمكن للمؤرخ أن يعول على ما يستخرجه الناقد من الأدب ، وكيف يمكن للنقد أن يعتدل بين انطلاق المهجة الإبداعية وقيود التمحيص التى يحتكم إليها علم التاريخ .

وفضلاً عن كل هذه المساءلات الخلافية يندفع الرأى الكلى النقيض انطلاقاً من القول بنسبية الحقيقة : فى ذاتها مطلقاً وفى مجال الأدب بصفة أخص ، وإذا ما تشيدت عمارة الأدب فى بعض الحضارات على مصاهرة الواقع : مرة تلاحقه ومرة تتجاوزه ، كما فى تاريخ أدبنا العربى الذى ارتبط مفهومه بالخبر والافادة والتدوين فكان ديوان أهله ـ فإن آداب بعض الأمم الأخرى قد انبنت على مقومات مغايرة تماماً : وبين الأدب الاغريقى والأدب الرومانى ثم الايطالى فالانجليزى فوارق جذرية فى منابع الإلهام ، وقد لا نجد أدباً يقارب سمة الأدب العربى الأول فى مراودة الحقيقة إلا أدب الفرنسيين فى بعض حقبه بما امتزج فى مفهوم الأدب عندهم يومذاك من تيارات فكرية جعلت أعلام الإبداع الأدبى هم أنفسهم رواد الحركة التاريخية التى غيرت مجارى الأحداث ، ولا يهمنا كثيراً فى موردنا هذا أن كان الأدب العربى أدباً تدوينياً يقوم على بنية خبرية وكان الأدب الفرنسى أدباً نضالياً بنيته إنشائية .

وبين أدب الملحمة وأدب الكوميديا فأدب الميثولوجيا وفلك الخيال تأكدت النسبة : فالحقيقة حقائق لا حقيقة واحدة ، أو قل : فى الأدب حقيقة أسطورية ، وفيه حقيقة تصويرية ، وفيه حقيقة إنشائية تحاول إيقاع اللغة على التاريخ .

وفى كل الأحوال وبأى مسلك دخلنا موضوع القيمة فلن نجد صوتاً واحداً يقول إن الناقد مؤتمن على الحقيقة يستخرجها من الأدب ، وفى ذلك ما يهز فى العمق علاقة النقد بالتاريخ وبعلم النفس ثم بعلم الاجتماع .

ولكن موضوع القيمة قد يُطل علينا من جديد فى حفرياتنا عن تظافر المعارف بين النقد الأدبى والعلوم الإنسانية وذلك من باب الفلسفة فى إحدى نافذتين : نافذة الأنطولوجيا ـ التى هى علم الوجود بما هو موجود ونافذة مبحث القيمة بحد ذاته ـ الأكسيولوجيا ـ بما هى دعامة من دعامات علم الأخلاق .

فمن الزاوية الأولى تثار قضية مُكدة ومستديمة وهى قضية الحرية والالتزام التى لم يفلح النقد فى حسمها بنفسه لحسابه كما لم تفلح النظرية الفكرية العامة فى فرض وجهة تقديرها على حقل الأدب والنقد ، وليس المقام للمجادلة ولا هى هنا من مقاصدنا ، وإنما أمرنا متعلق بمدى ما أفاده النقد من هذا التظافر وبمدى ما جناه به على نفسه عند التباس قضية الفن الخادم حيال الفن للفن فى هذا المجال .

ولهذا السبب كانت الزاوية الثانية التى أشرنا إليها مثارة لإشكالين ، مدار الأول منهما :

هل جوهر الأدب أن يقول أو أن لا يقول ، وهل وظيفة النقد أن يطنب فيما قال الأدب أم أن يحدس ما لم يقل ! ومثل هذا الإشكال سيكتسب أبعاده المعرفية حينما يمتزج بقضية القيمة ليفحص موقف النقد فى ضوئها من أدب سماه أهله لا معقولاً ، ومن أدبٍ قال محترفوه إنه أبيض ، ومن أدب وصفه أهله وغير أهله بأنه أدب الغموض وتباهوا به وهو كذلك .

أما الإشكال الثانى فيكشف لنا معضلة القيمة عارية مضنية حينما نتساءل كيف أطرد اليوم فى سنن النقد وأعراف الناقدين أن وجاهة العمل النقدى وموضوعيته تقاسان بمدى إمساك الناقد عن إرسال الأحكام .

ومن لم يُفض منا فى التنويه بالنقد الحديث مع الغمز على النقد المألوف قبله ، وكل ذلك من منطلق الانصياع إلى وصايا الموضوعية المعاصرة : أن لا نرسل حكماً معيارياً تطبعه الذاتية ، وتحركه الانطباعية ، وتصبغه الارتسامية بألوانها ، واستقر فى قناعاتنا أن الحكم المعيارى مشين وكأن حكم النقد للأدب أو عليه يمكن أن يكون غير معيارى ، أو كأن الاستناد فى العمل النقدى وضبط القيم إلى غير معيار قد أمسى من فضائل الإنسان الحكيم .

على هذا النحو نفسر ـ بشىء من اقتضاب المراحل فى تعاقبها الجنينى ـ بروز التأويلية فى أيامنا كمعرفة تسعى إلى استقطاب تمازج الاختصاصات فى مجال النقد متسلحة بتاريخها الطويل ومتخذة عناصر قوتها من انغراس جذورها فى النصوص المقدسة أولاً وفى أمهات التراث الفلسفى من جهة أخرى .

ولكن الإشكال النوعى مع التأويلية المعاصرة أنها تتركح على وتدٍ غير مستقر لأنها تتحلى بحلية العلم القائم بنفسه ، ولكن طبعها الأول أنها مجرد منهج تسلكه بعض المعارف ومطية تركبها العلوم شأنها شأن البنيوية كما كانت وكما لم تتغير .

إن علاقة النقد الآن بسائر العلوم الإنسانية قد أدركت منزلة من الاستثمار الأقصى بلغ معها فائض الفائدة حداً يؤذن بتضخمٍ حتمى تنحدر بفعله القيم الأصلية والقيم المضافة ، ولعل فضل الأدب والنقد أنهما ينيران من الأضواء ما سينبه إلى ضرورة مراجعات فى العمق نجريها على مبدإ تظافر المعارف ذاته لا بغاية الحد من إجراءاته على المضمون ، ولا بغاية طمس بريقه على المنهج ، وإنما بغية توفير المناعة الضرورية للنقد الأدبى حتى لا تنحل خصائصه النوعية فيمحى على التدريج رسم هويته المعرفية .

ففى الوقت الذى نرى العلوم الإنسانية لا تقبل على التظافر فيما بينها إلا بعد أن يتحرى أهل كل علم مدى نجاعة العمل المشترك مع الحقل الآخر يتبادر النقد الأدبى وكأنه الحقل الطيع يستجيب لكل علم يدعوه ، ويتحفز لكل منهج يناديه ، فهو اللاهث وراء كل مستدرج .

لذلك يخيل إلينا اليوم أن مبدأ تظافر المعارف هو فى حاجة الآن إلى قانون أساسى يضبط بنود العمل فيه ويشرع لطبيعة العلاقة بين ما كان يعرف فى التصنيف السائد بالعلوم الأصول والعلوم الأدوات ، حتى يجلو لنا خطوط التماس وتخوم الاشتراك بين المعارف الخادمة والمعارف المخدومة . وسيمكننا كل ذلك من ضبط مواقع النقد الأدبى بحسب كل حالة من حالات التعويل على المضمون الدخيل أو التوسل بالمنهج الضيف ، وعندها سيتسنى أن نصدح بالدعوة الى إقامة ميثاقٍ للتظافر المعرفى فى حقل النقد الأدبى .

● ● ●

عبدالفتاح أبومدين

شكراً مجدداً والكلمة للأستاذ حمادى صمود .

حمادى صمود

الموضوع المقترح موضوع مهم جداً ويحسن فى بداية هذا النقاش فيما أقدر أن نقدم فى عجالة الحيرة التى تحرك منها صاحب هذه الورقة ، الأستاذ عبدالسلام المسدى . ، فالقضية الأساسية التى يطرحها هى قضية الخوف فى مسألة تمازج الاختصاصات على النقد الأدبى من أن تضيع قسماته داخل هذه الاختصاصات المختلفة ، وبالتالى أن يفقد ما به يكون علماً له بكل هذه الاختصاصات صلة ، ولكن يجب أن يكون متميزاً عنها ، والورقة تلفت النظر إلى أن الاستفادة من تعدد الاختصاصات يقف وراءها خطر مهدد هو أن يذوب كيان المستفيد من هذا التعدد .

ولطرح هذه القضية التى بدت لى الأساسية فى هذه الورقة ، اتبع الأستاذ عبدالسلام المسدى فى هذه الورقة الجميلة والمهمة المراحل التالية :

أولاً : عدد المداخل الممكنة فى النقد الأدبى فكانت عنده مدخلاً دلالياً ، فمدخلاً يقوم على قضية التأثير ، ثم طرح بعد ذلك مسألة القيمة ، وكان فى كل مرة يحلل المحور المقترح ويطرح فى شأنه جملة من القضايا التى نود أن ننطلق منها فى هذا النقاش .

واسمحوا لى أن أطرح فى بداية النقاش جملة من الأسئلة تبدو لى ضرورية لزيادة توضيح بعض النقاط الواردة فى هذه الورقة . وأول قضية فى رأيى تستحق النظر والتوسع هى قضية تظافر الاختصاصات فى حد ذاته ، أو ما يسمى تمازج الاختصاصات ، والأستاذ عبدالسلام يستعمل مرة مصطلح التظافر ومرة مصطلح التمازج .

ونعرف أن المقابل الأعجمى هناك مصطلحان : هناك (La Pluridisciplinarité) وهناك (L'interdisciplinarité) .

وعلى كل فأنا لا أطرح القضية لأدقق الفرق بين المفهومين بقدر ما أطرحها فى علاقتها بالظاهرة الأدبية : إلى أى مدى ، إلى أى حد يمكن فى الظاهرة الأدبية ـ وقد اهتم بدرسها علوم مختلفة ـ أن يكون ذلك من باب تـظافر الاختصاصات ؟ يعنى إن وجدنا أن النص الأدبى يدرس من وجهة اجتماعية ، ويدرس من وجهة نفسية ، ويدرس من وجهة إنشائية ، ويدرس من وجهة ربما تاريخية ، وهذا فعلاً هو الذى وقع ، ويقع اليوم ، عندنا دراسات تاريخية ، دراسات نفسية ، دراسات اجتماعية ، بل عندنا فى شجـرة العلوم المهتمة بالأدب : علم اجتماع الأدب ، وعلم تاريخ الأدب ، وعلم نفس الأدب إن صح التعبير ، أو التوجه النفسى فى دراسة الأدب ، ولنا لكل علم من هذه العلوم ممثلون ، ولنا آثار منشورة ، إلى غير ذلك .

بحيث إلى أى حد لا يكون هذا الاهتمام بالظاهرة الأدبية ناتجاً عن طبيعة الظاهرة فى حد ذاتها ، بحيث إن تعدد الاختصاصات أو تظافر الاختصاصات بشأنها أمر تفرضه طبيعة المادة المدروسة ، باعتبار أن للظاهرة الأدبية جملة من العلاقات ، فهناك على الأقل أربع علاقات : علاقة النص بكاتبه ، وعلاقة النص بقارئه ، وعلاقة النص بعالمٍ ، وعلاقة النص بالنص أى علاقة النص بذاته .

هذه العلاقات هى التى رسمت التوجهات الكبرى فى الدراسة الأدبية اليوم والدراسة النقدية فتجد مثلاً ما يسمى باتجاه الحكاية أو باتجاه المحاكاة هو الذى يقوم على رصد العلاقة بين الأثر والعالم ، أى كيف يعكس الأثر العالم الذى يتحرك فيه ، أى السياق التاريخى ، السياق الاجتماعى الذى يتحرك فيه : ما هى العلاقات القائمة بين أثر أدبى ما وبين العالم . هذا أعطى اتجاهاً معيناً فى دراسة الظاهرة الأدبية . وفى علاقة النص بصاحبه إلى أى مدى يكشف النص أو يعكس النص نفسية معينة أى ما يعتمل فى نفس مبدعه من انفعالات ومن عواطف ، ثم يتوسعون فى رصد الأسباب الواقعة وراء تلك الانفعالات لجعل الأثر « مرآة » أو على الأقل لمحاولة الدخول إلى الكاتب من المكتوب ، وهذا كله يطلقون عليه الدراسات التعبيرية .

كذلك علاقة الأثر بقارئه : ما هى العلاقة التى ينشئها الأثر بالقارىء من خلال ما يريد المبدع أن يحقق بأثره من تأثير فى القارىء . إلى غير ذلك من الأمور التى دعت إلى أن تتعدد زوايا النظر فى الأثر الأدبى . فسؤالى إذن : هل أن تعدد زوايا النظر بحكم طبيعة الموضوع فى حد ذاته هو من تظافر الاختصاصات ، أو إلى أى حد يمكن أن يكون من تظافر الاختصاصات . هذا هو إن شئتم السؤال الأول .

وأضيف إن سمحتم إلى هذا السؤال الأساسى جملة من الأسئلة الفرعية لعلها تسمح لنا بأن نتوسع فى هذه الورقة التى أكرر فأقول إنها ورقة مهمة جداً . ألح الأستاذ عبدالسلام المسدى على أن من أهم المداخل إلى الأدب مدخل الدلالة وقال فى هذا كلاماً مهماً ويمكن لنا أن نناقشه فى كلياته لعل الوقت يسمح أن نعود بعد ذلك الى الجزئيات ، إلى أى مدى يمكن أن تكون الدلالة مدخلاً من المداخل إلى الأدب ، نعنى أليست الدلالة القاسم المشترك الأعظم بين كل العلوم التى تتوسل باللغة ؟ فليس فى الكون علم من العلوم يتوسل باللغة إلا وكانت الدلالة مقصده ومناطه وبغيته القصوى . ويصبح الأمر حرجاً أكثر عندما يؤكد الأستاذ عبدالسلام مرات على أن مناط النقد ، وأن جوهر النقد الأدبى إنما هو كشف لحجب المعنى .

هنا بودى أن نعود فنتساءل عن وظيفة النقد ، هل أن غاية النقد هى أن يكشف عن معنى ؟ فى حين أننا نعرف . من تاريخ النقد العربى على الأقل . أن قضية المعنى قضية ثانوية ، وأن تفوّق شاعر على شاعر إنما يبرز للنقاد أكثر ، ويذكرونه بكثير من الفرح والسرور ، عندما يطآن نفس الموطن ويقولان نفس المعنى ، ولكن الواحد منهما يقوله بطريقة تختلف عن الطريقة التى يقوله به الآخر . فإلى أى مدى يمكن أن يكون مناط النقد إنما هو المعنى ؟ أليس النقد أساساً بحثاً عن فضل للنص يقع وراء المعنى . فليس المعنى على كل حال أساسه والغاية منه .

فى القضية الثانية وهى قضية التأثير بودى أيضاً أن أطرح سؤالاً ، ففعلاً قضية التأثير قضية شائكة ، وقد أبرز الأستاذ عبدالسلام بشكل واضح جلى ،

وبشكل عميق صعوبة هذه المسألة ، وطرح جملة من القضايا المهمة فى الموضوع ، ولكن الطرح الذى طرحه والترتيب الذى اختاره فى هذه الورقة يجعلنى أقول له : أليس التأثير ناتجاً من أمور تخرج عن المعنى ، ففى ترتيبه وفى طريقة طرحه ما يدل على أن التأثير لا يتم من الدلالة التى رسمها المفتاح الأول والأساسى للنقد الأدبى أو للأدب .

ثالثاً : مسألة القيمة ، وهنا بودى أن نناقش الأستاذ عبدالسلام فى مسألة القيمة ، كأننى به فى هذه الورقة يعقد صلة بين القيمة والحقيقة ، أى أن مشكلة القيمة هى فى مدى التزام النص الأدبى بحقيقة ما عنه يعبر ، ولذلك نرى الأستاذ المسدى فى هذا الركن من ورقته حدثنا عن علاقة الأدب بالحقيقة التاريخية ، وعن علاقة الأدب بالحقيقة بصفة عامة . أليس للقيمة فى النقد معنى آخر غير معنى الحقيقة ، يعنى هل طرح القدامى للقيمة كان طرحاً متصلاً بقضية القيمة ، ونحن نعرف أنهم أسندوا للنصوص قيمة وكانوا يعرفون أنها نصوص لا تراعى الحقيقة ، بل إن فى تصورهم النظرى أن الحقائق لا تصنع شعراً ، وأن الشعر إنما يأتى من فكرة الترويج ، أى إن الشعر يقوم على الترويج ، والترويج فيه معان حتى الكذب والغش . لا بالمعنى الأخلاقى طبعاً . وإنما الغاية التى يسعى إليها الأديب وبها تكون لنصه قيمة هى هذه القدرة العجيبة على ترويج المعنى باللفظ كما كان يحلو لهم أن يقولوا . هذه دفعة أولى من القضايا لعلنا نعود بعد حين إلى بعضها بالتفصيل .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للدكتور حمادى وفى تصورى أن ورقة الدكتور المسدى فيها مجال عريض للتحليق حولها لأنها تطرح قضايا كثيرة رغم أنها تتناول قضية واحدة ، وأنت تتحدث عن الشعر وتتعرض له بالنقد أشير إلى أن القدماء كانوا يقولون إنه تخييل ، فالتخييل هذا طبعاً يختلف عن الحقيقة شيئاً كثيرا لأنه قد يكون تصور ما لايتصور ، والذى نعرفه أن النقد كانت له هيمنة على الأدب عبر التاريخ . فهذه الهيمنة إلى أى مدى نستطيع أن نقف عندها لنعرف الأشواط التى

قطعها النقد عبر تاريخه الطويل بحيث صار قيمة ، حتى إنه فى العصور الأخيرة بدأ يفصل الأثر عن صاحبه ، بمعنى يتجاهل المؤلف ، والنص يكون هو الذى يدور حوله الحوار والنقاش ، وحتى قالوا إن القارىء هو صاحب النص ، أو هو مؤلف النص ، نصل الى الأستاذ حسين الواد لنستكمل هذا الحوار ، أو لنأخذ دورنا فى هذا الحوار الذى نرجو أن يمتد لأن الورقة المقدمة من الدكتور المسدى فيها مداخل عريضة طويلة .

حسين الواد :

شكراً ، قد لخص الأستاذ صمود ما جاء فى هذه الورقة المهمة ، ورجع إلى ما تطرحه من قضايا بمزيد التوضيح . غير أنى من باب الاضافة ومن باب الاثراء ، لا من باب مناقشة ما جاء فى هذه الورقة ، أحب أن نميز أولاً فى استعمال المصطلحات بين عبارتين أعتقد أن التمييز بينهما أصبح ضرورياً الآن حتى يكون التقدم أسلم .

العبارة الأولى هى عبارة النقد الأدبى والعبارة الثانية هى عبارة الدراسة الأدبية نميز بين النقد الأدبى والدراسة الأدبية أو الدرس الأدبى ، وبينهما اختلاف يفضى فى ذهن القارىء أو فى ذهن السامع غير المتمكن من الأشياء إلى شىء من اللبس تكون نتائجه داعية إلى شىء من الاضطراب فى الفهم .

فالنقد الأدبى فى رأيى يهتم أكثر ما يهتم بالأعمال المعاصرة التى تنشأ فى عصر الناقد وقراءة هذه الأعمال تفضى فى الغالب الى إبداء حكم فى قيمة تلك الأعمال ، وهذا الحكم يتوجه به الناقد الى الجمهور القارىء فى عصر ، أعنى أنه يلفت به النظر الى العمل الأدبى .

مجال هذا النقد حالياً هو الصحف السيارة ، وهذا النقد يعتمد على الذائقة ويعول عليها ، لأن غايته هى إبداء حكم معيارى ، أى حكم فى القيمة . أما الدرس الأدبى فيهتم أكثر ما يهتم بالأعمال التى صمدت أمام مفعول الزمن ، واخترقت العصور ، واصطفتها الأذواق المتعددة فى الأزمان المتباعدة ، وكانت تبعاً لذلك قيمتها الأدبية قيمة متواصلة ، ليست بهرجاً زائفاً أو أَلَقاً سرعان

ما يخبو ، هى نصوص إذن تمثل الأدب ، تتضمن ما يصطلح عليه بشيء من التوسع بعبارة الأدبية ، وتدل على النظام الأدبى .

ودرس هذه الأعمال التى اصطفتها الأجيال يوصل إلى نتائج عامة تهم الظاهرة الأدبية فى حد ذاتها . إنها تمكن مما يمكن أن نطلق عليه عبارة السمات المشتركة ، أو « القوانين العامة » الخاصة بالظاهرة الأدبية .

مجال الدرس الأدبى هو المؤسسات الجامعية ، ومؤسسات البحث ، ومواطن ظهوره هو المجلات المختصة أو الكتب ، بحيث إذا كانت الغاية من النقد الأدبى هى إبداء الحكم فإن الغاية من الدرس الأدبى هى المعرفة ، معرفة هذه الظاهرة الأدبية ، ثمة إذن فرق بين النشاطين ، وهذا الفرق لابد من الاعتداد به .

حديثنا عن العلاقة يكون إذن بين الدرس الأدبى والعلوم الإنسانية ، باعتبار أن النقد بحكم مجاله يعسر عليه فى إبداء حكم أن يلجأ إلى علم النفس أو الأنثروبولوجيا أو علم اللغة ، إنه لا يتجه إلى جمهور مختص وبالتالى فهو لا ينشد معرفة بل يكشف عن قيمة .

هذه العلاقة بين الدرس الأدبى والعلوم الإنسانية وجه أول من وجوهها يندرج . فى نظرى . فى قضية أم ورئيسية وهى علاقة الدارس بالموضوع الذى يدرسه ، العلاقة بين الباحث الدارس والموضوع الذى يدرسه ، العلاقة بين الباحث القارىء وبين موضوع درسه ، وهى قضية مطروحة فى جميع المجالات وليست خاصة بالأدب ، لكن نظراً إلى أن الأدب بحكم طبيعته ـ كما ذكر الأستاذ صمود ـ هى طبيعة خاصة فإن القضية قد أخذت أبعاداً أخرى .

نعرف الآن من الذى تكشف عنه تواريخ العلوم والمعارف أن هذه العلاقة ـ أعنى علاقة الدارس بالموضوع الذى يدرسه ـ هى علاقة متحولة فى الزمن ـ ففى العلوم الإنسانية مثلاً ـ حتى لا نبتعد عن الأدب ونبتعد عن العلوم التى تعرف بأنها دقيقة ـ نجد فترات تاريخية يلح فيها الدارسون الإلحاح كله أحياناً على إسكات ذات الدارس وعلى تجنب متعلقات السياق التاريخى ، فتكون الدعوة مركزة حينئذ على الشروط الموضوعية التى يجب أن تتوفر حتى تكون الدراسة

أقرب ما يمكن من العلمية : أعنى فى هذه الفترات تجد فصلاً واعياً بين الدارس من جهة وموضوع درسه من جهة ثانية .

فى فترات أخرى نجد الإلحاح ينصب على إقامة ضروب من الوشائج المتينة بين الدارس وموضوع درسه فتصبح الذاتية هى الدعامة الأم لمباشرة النصوص .

فى زماننا هذا حدث شيء جديد ، وفيما أعرف حدث لأول مرة ، بهذا العمق : حدث أن أصبحت الأبحاث تحاول أن تضبط على سبيل الدقة الموقع المحدد الذى يتعين على الدارس أن يكون فيه وهو يدرس موضوع بحثه : أعنى أننا أصبحنا نتساءل عن المقدمات التى ننطلق منها ونتساءل عن المسلمات المعرفية التى نبدأ بها ، نتساءل أيضاً عن المسلك الذى يسلكه الدارس . نتساءل أيضاً ـ وربما أخيراً ـ عن النتائج التى نؤمها عند الدرس . بحيث أصبح الدارس اليوم مشغولاً بالمسافة التى تفصل بينه وبين موضوع درسه ، أو إن الذهن العارف ، أو الذهن الدارس ، أصبح دارساً وموضوع درس : يدرس ويراقب موقعه من علاقته بالموضوع الذى يدرسه .

لا أذكر شخصياً ـ كما قلت فى الأول ـ فى تاريخ الدرس الأدبى فترة شغل بها الدارس بذاته الدراسة مثلما يشغل بها الآن ، وهذا لا أستبعد أن تنشأ عنه شبه قطيعة معرفية فى مجال الدراسة الأدبية ، وبهذا يكون البحث فى علاقة الدرس الأدبى بالعلوم الإنسانية مهماً جداً، هذه نقطة أولى .

وفى العلاقة بين الدارس والأديب : الرأى الشائع أن الأديب / أو المبدع / هو الأول ، هو الأصل ، وأن الناقد هو الفرع ، وأن الدارس تابع للأديب ، فهذا رأى شائع ومتداول ويكاد يكون من المسلمات .

أعتقد أن هذه القضية يمكن أن تطرح على وجه آخر لأن نشاط الدارس يختلف جذرياً عن نشاط المبدع إلى حد أنه لا يمكن أن نجعل أحدهما لاحقاً أو تابعاً للآخر ، لأن المبدع ينطلق مما يمكن أن يُعتبر واقعاً ، من الوسط أو السياق الذى عاش فيه ، وانفعل به ، أعنى : ينطلق من الطبيعة ليصل إلى بناء كون من العلامات ، ينطلق من الطبيعة ليصل الثقافة ، يتعامل مع المفاهيم الممثلة

للأشياء ليصل الى بناء كون هو كون من علامات ، ما نقرأ من قصيدة شعرية أو رواية إنما هو بناء من العلامات ، من اللغة .

أما الدارس فهو ينطلق من عالم ، أو من كون من العلامات ، أعنى ينطلق من الثقافة ، وهنا نطرح مسألة المعنى التى جاءت فى الوثيقة . إذا انطلق الدارس من الثقافة فهل يسلك الطريقة المعكوسة التى سلكها الكاتب أو المبدع عندما انطلق من الطبيعة ليصل الى العلامة ؟ هل ينطلق الدارس من العلامة ليصل الى الطبيعة ؟

غير أن العلامة خاضعة ومضللة ، تنأى به عن العالم الذى انطلق منه ، وبالتالى يصبح الأدب وهو ينطلق من الطبيعة يكون عالماً من العلامات ، فالمسألة فى رأيى لا تحل الحل الموجود الآن فى بعض المناهج الحديثة من أن الدال هو مدلول ، أو أن المعنى هو ضمن البنية . ويمكن أن نتقدم بعد حين بمسائل أخرى .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للدكتور حسين الواد ، وهناك نقطة يمكن أن نعود إليها فيما بعد وهى أنك طرحت فى المقدمة أن الناقد يدرس الأدب أو النص الذى يعاصره ، هذا الذى فهمته ، وفى تصورى أن الناقد يتجاوز عصره الى عصور قديمة وبرؤية تختلف عن الرؤية التى دُرس بها نص من النصوص فى الماضى ، وتضيف شيئاً جديداً بالقياس إلى منظورات أو تطورات العصر ، هذه نقطة سنعود إليها ، وننتقل الآن الى الأستاذ محمد القاضى ليضيف من منطلق محور يختاره ، ثم بعد أن يكمل نعود الى صاحب الورقة ليعقب على ما قيل .

محمد القاضى :

شكراً ، فى ما استمعنا إليه الآن من حديث الأستاذين حمادى صمود وحسين الواد قضايا كثيرة يصعب أن نقف على حدودها ، وأن نحيط بها ، ولكن أريد أن أعود فى عجالة الى بعض المسائل التى أثارتها فى نفسى الورقة التى تقدم بها

الأستاذ عبدالسلام المسدى وما استمعت إليه الآن أيضاً .

فى الحقيقة نحن نتحدث عن النقد الأدبى ، ونتحدث عن الأدب وعن العلوم الإنسانية وكأن أمر النقد وأمر الأدب متفق عليهما فى أوساط الباحثين والدارسين . والحقيقة أن فكرة الأدب ، أو حد الأدب ، هو كما يقول تودوروف مفهوم تاريخى متطور لا أزلى ، وربما هذا ما يجعلنا نفهم إلى حد ما هذه الدراسات التى طلع بها علينا بعض المفكرين بعناوين لم تكن لتخطر على بال القدامى : عندما نجد سارتر يضع كتاباً كاملاً عنوانه « ما الأدب ؟ » أو عندما يضع تودوروف كتابه : « مفهوم الأدب » بحيث هذه المساءلات ربما تكون ناتجة من ناحية عن تطور هذا المفهوم الخاص بالأدب : مفهوماً وممارسة ، ومن ناحية أخرى عن تطور المعارف .

ولابد لنا هنا من تحديد هذه المصطلحات ، ففى النقد الأدبى ، وأنا على رأى الأستاذ الواد عندما يميز بين النقد الأدبى والدرس الأدبى أو تحليل الأدب . كثير من المصطلحات قد استعيض عنها بغيرها ، فالأدب يسمى أحياناً كتابة ، وأصبحنا نتحدث عن النص ، وعن الأثر ، والنقد أو التحليل أو الدرس أو الدراسة أو القراءة هى كلمات أصبحت منذ أمد من الدهر قصير تعوض فى كثير من الكتابات كلمة النقد أو كلمة الدرس أو كلمة التحليل .

إذا ما تجاوزنا هذه المسألة استطعنا أن نطرح مسألة العلاقة التى يمكن أن تكون بين العلوم الإنسانية والدرس الأدبى ، لا النقد الأدبى ، وهذه العلاقة هى فى جوهر الموضوع الذى نحاول أن نعرض إليه ، وأعتقد أن الأستاذ صمود قد كان محقاً حينما نزل الموضوع فى إطارها ، وهو : هل أننا ننظر فى هذه العلاقة من زاوية التفاؤل أم من زاوية التشاؤم ، أى هل نحن نرى فى هذا التظافر بين العلوم الإنسانية والدرس الأدبى أمراً يعود بالنفع على الظاهرة الأدبية وعلى الدرس الأدبى ، أم إنه نوع من الزحف ، ونوع من العنف الذى تمارسه هذه العلوم الإنسانية على النص الأدبى ، أى هل إن الدرس الأدبى مهدد من قبل هذه العلوم الإنسانية ؟

أريد أن أذكر هنا رأيين أولهما لأحد أعلام النقد الذي يعتمد التحليل النفسى أقصد شارل مورون الذى يقول فى سياق هذا الإشكال الأساسى وكأنه من منطق الدفاع عن النفس أو من منطق إعطاء المشروعية للقراءة النفسية ، يقول : « إن النقد النفسى يدرك أنه جزئى وهو يريد أن يندرج فى نقد شمولى لا أن يحل محله ، إن غرض النقد النفسى هو أن يزيدنا فهماً للآثار الأدبية وذلك حين يكشف فى النصوص عن ظواهر وعلاقات لم ينتبه بعد إليها أحد ، فالرأى الظاهر هنا لشارل مورون هو أن المقاربة النفسية للأدب لا تدعى حق التفرد بالكلمة الفصل فى قراءة الأدب وإنما هى إسهام فقط ، فالباحث فى هذا المجال يقدم إمكانية أخرى ليست الامكانية التى يتبينها عالم الاجتماع ، فهو إسهام يندرج به هذا النقد فى إطار عام وتحاول هذه القراءة أن تجد لها مكاناً ضمن قراءات أخرى ، ولكنها تعتقد أن لها خصوصية يمكن أن تبديها .

جاك لين آرت رائد من أعلام النقد الاجتماعى يتساءل أيضاً عن هذه المشكلة ، أى مشكلة العلاقة بين العلوم الإنسانية والنقد الأدبى ، أو الدرس الأدبى ، فينفى هو أيضاً أن يكون استخدام هذه العلوم الإنسانية ، هى ذات طبيعة مختلفة عن طبيعة الأدب نفسه لأنها تهتم بموضوع آخر غير ما يهتم به التحليل الأدبى ، ويقول : إن ما يقوم به عالم الاجتماع إنما هو أن يقرأ داخل الأثر العلامات المحايثة لخارج مستبطن D'une extériorité intérioriseé .

فى هذا الكلام ما يجعلنا نلحظ أن هذه العلوم الإنسانية التى أصبح يتوسل بها فى فهم الظاهرة الأدبية إنما تندرج فى تعدد المعارف فى عصرنا وتعدد الاختصاصات بحيث إن هذه المعارف فى الحقيقة لا تتجاوز النص الأدبى وإنما تأتيه من موقع خصوصيتها للافادة منه ولكشف بعض أسراره ، تلك الأسرار التى لا تستطيع مقاربات أخرى أو اختصاصات أخرى أن تحددها .

أود أن أختم بملاحظة أثارها الأستاذ صمود وتتعلق بمسألة القيمة وقد تساءل عن مدى التزام النص الأدبى بحقيقة ما عنه يعبر ، وهو سؤال أساسى فى نظرى ولا يمكن أن نتقدم إلا إذا حاولنا أن نتبين حدوده وأبعاده ، وفى هذه النقطة بالذات يمكن أن نشير إلى نقطة التطور الأساسية التى زحزحت شيئاً ما النظر إلى

النص ، وتحدد هذه النقطة تاريخياً بالنصف الثانى من القرن السابع عشر وهى الفترة التى مهدت شيئاً ما لتغير مفهوم الأدب أساساً ، وهذه الفترة متصلة بسبينوزا ، هذا الرجل يعتبر الفيلسوف الذى أثار مسألة الحقيقة وعلاقتها بالنص .

ويعتبر سبينوزا محققاً لنقلة نوعية ، حسب العبارة الرائجة . إذ أنه انتقل من سؤال كان سائداً قبله وفى عصره أيضاً وهو : هل ان النص الأدبى يقول الحقيقة ؟ ومسألة الحقيقة قد أطنب فيها رولان بارت كانت سبباً من الأسباب الأساسية فى ما ران على البشرية من أضرب الخلاف والصراع والحروب والدماء إلى غير ذلك ، ومصدر هذا الخلاف هو أن الناس يرون أن النص ينبغى أن يستوى على حقيقة واحدة ، والحقيقة التى يراها المرء هى الحقيقة التى يؤمن بها ، أما حقيقة الآخر أو حقيقة النص فيما يراه الآخر فهى مسألة ينبغى أن تدحض ، بل أن تحارب ، وأن تقتل أساساً .

قلت إذن إن سبينوزا خرج من هذا السؤال السائد قبل عصره وفى عصره الى سؤال آخر وهو : ماذا يقول النص ؟ ما معنى النص ؟ ومن هنا خرج عن تلك الفكرة التى تقول إن النص يعبر عن حقيقة سابقة له ، وجدت قبله ، وهو يعبر عنها ، الى فكرة جديدة وهى أن النص يصنع معنى ، ويصنع هذا المعنى بوسائل مختلفة ، ويمكن أن نرى فى نص واحد معانى مختلفة ، وبهذا نجد خيطاً لطيفاً رابعاً بين هذه الاختصاصات المختلفة التى يحاول أصحاب كل منها أن ينفذوا الى جانب خفى مستتر من جوانب العملية الابداعية وهذه الظاهرة المتعددة الأوجه .

وفى نهاية الأمر فإن حديثنا عن صلة الدرس الأدبى بالعلوم الإنسانية ينبغى أن ينظر إليها من زاوية مشروعية التعدد فى قراءة الأثر الأدبى .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للأستاذ محمد القاضى ، وأنا ، فى تعليقى على ما قاله الأستاذ صمود ، لست متشائماً من دور الدرس النقدى ، أو الدرس الأدبى والنقدى ، لأن النقد

الأدبي أو الدرس الأدبي ، مهما اختلفنا فى تسميته ، شيء ضرورى ، شيء تتطلبه الحياة لأن كل أثر وكل شيء فى الحياة يحتاج الى رؤية استقلالية ، بعيدة عن الخلق وبعيدة من النص ، فدور النقد أو الدرس شيء أساسى ، لكن ينبغى أن يكون من أهله ، بمعنى ليس كل نقد يطرح على الساحة لأثر من الآثار نستطيع أن نأخذ به أو أن نقول إنه أضاف جديداً ، أو كشف شيئاً كامناً فى النص الأدبي لم نتوصل إليه إلا من خلال هذا النقد .

لكن النقد أو الدرس كيفما سميناه ، لابد منه ، فهو شيء أساسى ، لأنى لا أقول انه مهيمن على النص ولكنى أقول انه يشرح ، وانه يتعقب ، وانه يفحص وانه يغربل ، فدوره كبير مهما تمرد النص الأدبي فى أشكال مختلفة من نفسى واجتماعى وتاريخى وجمالى .

لا يمكن إلا أن يكون النقد الصحيح هو المهيمن فى كل الأحوال لأنه هو الكابح ، هو الضابط ، لهذه النماذج الأدبية المختلفة التى تملأ الساحة ، وهو أيضاً يحد من الغثاء الذى يملأ كذلك الساحة عبر التاريخ الطويل ، إذن فدور النقد الأدبي أو الدرس الأدبي ضرورة من ضرورات الحياة ، ومكملة أيضاً .

أعتقد أننا ـ قبل أن نستطرد ـ نعطى الكلمة للدكتور عبدالسلام ليعقب على ما طرح ، ثم نعيد الكرة مرة أخرى مع الأخوة .

عبدالسلام المسدى :

شكراً للأستاذ عبدالفتاح ، وشكراً لأخوتى الكرام لصبرهم على متابعة هذه الورقة التى حاولنا فيها بسط الاشكالية التى اختارتها « علامات » لندوتها هذه . والحقيقة أننا قصدنا منها إشراك الجميع ولاسيما قراء « علامات » الكرام فى ضروب الحيرة التى تنتابنا وتنتاب هذا الجيل ، وهى حيرة متعددة الهويات ، ولكنها بالدرجة الأساسية حيرة معرفية يريد أن يتخلص فيها الإنسان من قيود ضغط الحاضر ، ولو من الناحية العلمية ، ليستشرف ما أمكنه الاستشراف آفاق المستقبل فى هذا الموضوع الشائك الذى تواجهه « علامات » بجرأة معرفية .

أريد أن أدقق بعض الاضافات ـ إن سمحتم ـ فعن وعى راوحنا فعلاً بين مصطلحين ، أو بين عبارتين ، وقصدنا بمصطلح تمازج الاختصاصات إلى الحديث عن القضية عبر « التسمية بالسبب » فى حين أننا عندما تحدثنا بعبارة تظافر الاختصاصات قصدنا إلى تسمية الشيء بنتيجته ، أو على الأقل بالثمرة المرجوة منه : ذلك أن التظافر بين المعارف ، فى نظرنا ، هو ثمرة التمازج بين الاختصاصات .

ويقودنا ما أسلفنا الى تدقيق آخر ، وفى نفس الوقت الى فتح نافذة ضمن النوافذ المتعددة فيما يخص الوضع الراهن . فقد تفضل الاخوة مشكورين بالتعقيب على هذا ، ودقق الأستاذ محمد القاضى القضية . أظن أننا بصفة إجمالية يمكن أن نتحدث عن علاقة الأدب ، أو عن علاقة النقد الأدبى بعلم النفس ، وعن علاقته بعلم الاجتماع ، وعن علاقته بعلم التاريخ ، وعن علاقته كذلك بالفلسفة .

ومن الناحية المنهجية ـ وبشكل افتراضى ـ للقاء كهذا ، أو ندوة كهذه ، أن تلتئم بين حيارى النقد الأدبى وحولهم إخوة كرام : أحدهم عالم نفس ، والآخر عالم اجتماع ، وثالث عالم تاريخ ، ورابع من الفلاسفة . وهو احتمال يظل وارداً بطبيعة الحال . وقد يكون لقاء مشروعاً ليوم من الأيام .

وإنى أسوق هذا الافتراض لأفسر أولاً ـ إن لم أبرر ـ الأسلوب الذى توخيناه فى ورقة العمل وتجافينا فيه عن هذا التقسيم المألوف والوجيه فى حد ذاته . ولأشهد ثانياً أننا فى الوضع الراهن نلاحظ عدم تكافؤ الحيرات ، وعدم تكافؤ القلق المعرفى بين رواد النقد ـ المتخصصين فى عالم الأدب ونقده ـ والإخوة الآخرين المتخصصين في الحقول المعرفية الأخرى . فلا نلاحظ بنفس الدرجة اهتماماً بالنقد الأدبى لدى المتخصصين فى علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ والفلسفة يوازى الحيرة التى تنتابنا نحن تجاههم وتجاه حقول اختصاصات أخرى .

فإن رمنا الدقة قلنا ـ بضرب من الاستشعار الشخصى ـ ، إن الآخرين إذا تناولوا مجال الأدب ومجال النقد حركتهم حيرة « الاستخدام » فالمؤرخ

كالفيلسوف وكعالم النفس وعالم الاجتماع هدفه المصرح به أو المسكوت عنه هو أن « يستخدم » الأدب والنقد الأدبى ، بينما نرى المهتم بمجال الأدب والنقد إذا التجأ الى مجال التاريخ والفلسفة والاجتماع والنفس فإنما هو يريد أن « يستثمر » الحقل الآخر . وبين مجرد « الاستخدام » ونبل غاية « الاستثمار » يقع حد فاصل فى الاهتمام ويبرز التفسير ـ وربمـا التبرير ـ للنهج الذى انتهجناه فى ورقة التقديم ونال شرف تعقيب الزملاء عليه .

ومع ذلك تبقى فى نطاق تكاتف الأسئلة القلقة استفسارات أخرى منها على سبيل المثال :

ـ ما هى منزلة الأدب المقارن فى مثل هذا الحوار ؟ فكأنما بدائه الأمور تملى أنه لا يدخل ضمن تظافر الاختصاصات ، ولكن قد نشك ، وقد نذهب إلى إيلاء الأدب المقارن منزلة خاصة فى هذه القضية المعرفية الشائكة .

ـ ما هى منزلة علم العلامات ، أو السيميائية ، كاختصاص قائم الذات له نواميسه ، ويبدو كأنه متواشج مع قضايانا الأدبية واللغوية ، ولكن هل له دستوره المشروع الآن حتى يجلس على كرسى حول مائدة تظافر الاختصاصات على قدم المساواة مع الاختصاصات الأخرى ؟

ـ ويمكن أن نثير قضية علم اللغة كمعرفة حديثة لنتساءل : هل أن علاقة الأدب باللسانيات هى علاقة تظافر وتمازج ، تمـاماً كعـلاقته بعلم النفس وعلم الاجتماع ، أم هى من طينة أخرى ومن طبيعة أخرى ، وهو ما يفتح لنا مجالاً آخر لإخصاب النقاش .

ـ هل بوسعنا اليوم أن لا نتحدث عن « التأويلية » بوصفها اختصاصاً قائماً بذاته ، وهو ما عرجنا عليه فى خاتمة الورقة ، وهل ـ إذا جاز لنا أن نتحدث عنها بصفة الاختصاص الذى له دستوره المستقل ـ بوسعها أن تتخذ مقعداً على مائدة تظافر المعارف ـ كالتي نحن بصددها ـ حيال النقد الأدبي .

والموضوع الموالي الذي أتطرق إليه في نطاق هذا الحوار يتصل بالتمييز الدقيق الذى تفضل به الدكتور حمادى صمود : القيمة والحقيقة ، فإن كانا شيئين متميزين فاننا نعود من جديد بالسؤال حول نسبية الحكم ، أو مدى نسبية الحكم

فى مجال الأدب والنقد ، ثم ألا تكون نسبية الحكم هى السمة الأساسية التى تَسمُ خصوصية حقل الأدب وما إليه من نقد أدبى .

أريد أيضاً أن أعرج على أمرين آخرين : القضية الأولى تفضل بإثارتها الأستاذ عبدالفتاح أبومدين حول ما أسماه بهيمنة النقد على الأدب عبر التاريخ ، وأربط هذه القضية بقضية أخرى تفضل بها الأستاذ حسين الواد عندما ميز بشكل دقيق بين ما أسماه بالنقد الأدبى . ويعنى به المتابعة المتزامنة ، فأكاد أقول هو الوجه الآني (السنكرونى) للقضية التى نواجهها . والدرس الأدبى أو الدراسة الأدبية وهى السلطة التى تعود إليها عملية غربلة المتابعة ، وبالتالى فهى التى لها قرار تكريس الشهادة الأدبية ، أى هى الوجه الزمانى (الدياكرونى) للقضية التى نحن بصددها .

إذا جمعنا بين القضيتين : هيمنة النقد على الأدب عبر التاريخ وثنائية التقابل بين النقد الأدبى والدرس الأدبى وجدنا أنفسنا مباشرة فى صميم قضية هامة ، وتدخل بلا شك فى إطار حوارنا وهى قضية إنتاج المعرفة : كيف يتحول نسق المعرفة إلى بعث مؤسسة ذات سلطة ، وهنا قضية من أمهات قضايا العرب والنقد فى عصرنا الحاضر ، ذلك أن المؤسسة ذات السلطة تفتح علينا أبواباً فيما يخص النقد الأدبى وتضافر المعارف ليس هذا مجال استعراضها .

أحوصل إذن بالتأكيد على أن حوارنا هذا . فى هذه الندوة . إن هو مكننا من استبيان مقضيات الموضوع والحوافز الدافعة لقضية « النقد الأدبى وعلاقته بالعلوم الإنسانية » مع استعراض الانجازات الحاصلة فى هذا السياق فإنه سيمكننا بلا شك من تحسس الآفاق المستقبلة للقضية ، وهو ما سيمثل برمته إسهاماً جاداً فى بلورة الإطار المعرفى العام للموضوع مما سيعود على الأدب وعلى النقد بفضل كبير .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للدكتور عبدالسلام وقبل أن أحيل الكلمة الى الدكتور حمادى بودى أن أطرح كلمتين وهما :

فى علاقة النقد بالعلوم الإنسانية هل هى معاظلة بينهما أم هو تضاد ؟

وفى دور اللغة : فإن النقد يتكىء على اللغة فيما يدرس من هذه الآثار ، هو يضيف ، أو يغربل ، أو ينفض أشياء كثيرة ، فالاتكاء على اللغة ولاسيما فى العصر الحديث أصبح شيئاً أساسياً .

نريد من الدكتور حمادى صمود ـ بعد أن يعقب بما يشاء ـ أن يدخل هذا المدخل لعلنا نضيف جديداً فى هذا الحوار المثمر إن شاء الله .

حمادى صمود :

شكراً ، ولكن الأشياء ، قد تشعبت الآن وتعددت القضايا ، والحق أن المجال واسع . كل القضايا التى طرحت تستحق وقفة بل وقفات .

عبدالسلام المسدى :

هى مشروع لندوات . . .

حمادى صمود :

فعلاً ، سأحاول أن أعود إلى بعضها ، وبودى أن أرجع الى قضية التفريق بين النقد الأدبى والدرس الأدبى ـ كما بسطها الأستاذ حسين الواد ـ لأنه أوحى إلى بفكرة مهمة : هى أن النقد إذا كانت غايته الحكم لأثر أو على أثر بمعنى الحكم بقيمة ـ أى التصريح بقيمة ـ كأن تقول إن هذه الرواية أو إن هذا الشعر شعر يستحق أن يكون فى سلم الشعر فى المرتبة الفلانية ، قبل فلان أو بعد فلان ، فإن كان النقد الأدبى هو التصريح بالقيمة ففعلاً يتحتم سؤال خطير ، هو هل للمتأخر سلطة للإدلاء بقيمة تتعلق بالمتقدم ، بمعنى أن الأثر الأدبى إذا وصلنا فمعنى ذلك أن مشكلة القيمة بالنسبة إليه قد فضت وإنه لا يصلك إلا ما فضت بشأنه مسألة القيمة ، أي أن الأجيال اللاحقة لا يمكن إلا أن تدرس الأثر ، وأن تكشف فيه أشياء لاشك لم تكشفها الأجيال المعاصرة للأثر ، ولكن هل لهذه الأجيال المتأخرة دخل فى الحكم بالقيمة للأثر أو عليه ، هذه قضية مهمة جداً ،

وتهمنا نحن باعتبار أن لنا تراثاً نعيش معه ، ونستعمله ، ونتعامل معه ، يعنى هل للواحد منا إن أراد أن يدرس شاعراً من شعرائنا الكبار كالمتنبى أو كالبارودى أو كأبى نواس أو من شئت من الشعراء فليس لنا إلا أن ندرس . فليس لنا أن نحكم بقيمة ، وأن هذه الدراسة تشير الى التغيرات ، وأن الحكم بالقيمة هو حكم متغير ، تشير إلى المتغيرات لكنها لا تستطيع أن تسلب الأثر ما حصل عليه بشهادة أهل زمانه ، هذه قضية من القضايا المهمة .

ولذلك يصبح التفريق بين النقد الأدبى والدرس الأدبى تفريقاً جوهرياً إن كنا نقصد من النقد الأدبى طبعاً الحكم بالقيمة ، أما إن كنا نستعمل النقد الأدبى فى معنى شبيه بمعنى الدراسة الأدبية فعند ذلك يسقط الفارق ، أما النقد فى أصل معناه فهو هذا : هو أن تنتهى من قراءتك للأثر إلى حكم بالقيمة ، وهنا طبعاً يأتى سؤال آخر مهم يمكن أن نتجه به إلى الحضور الكريم - وإلى الأخ عبدالسلام - إذ ذاك الى أى مدى يمكن أن نعتبر النقد الأدبى علماً من العلوم الإنسانية ، يعنى إن كان النقد الأدبى يسعى إلى استصدار أو إصدار حكم بقيمة لأثر أو عليه فإلى أى مدى يمكن لعلم معيارى ، وقد جاء فى كلام الأخ عبدالسلام عن نسبية الحكم فى قضية الحقيقة والقيمة ، قلت إلى أى مدى يمكن أن نتحدث عن علم النقد بهذا الاعتبار ، قلت إلى أى مدى يمكن أن يكون النقد - كما جاء فى الورقة - علماً من العلوم الإنسانية ؟

والتفريق بهذا الشكل بين الدرس الأدبى والنقد الأدبى يكفينا كثيراً من المشاكل التى يتخبط فيها الدارسون أحياناً ونقاد الأدب .

الأمر الثانى الذى تبين من النقاش الممتع المهم الذى استمعنا إليه هو أنه - كما قال الأستاذ عبدالفتاح - لا خوف على النقد من أن يتناول الأثر . اختصاصات مختلفة وقد ذكر لنا الأستاذ القاضى مشكوراً بعض الآراء وعلى الأقل رأيين مهمين لعلمين : واحد من مدرسة برأسه فى علم النقد النفسى وهو الفرنسى شارل مورون ، والناقد الاجتماعى لين هارت . ورأينا - كما عبر الأستاذ القاضى بتعبير جميل - أن هذه العلوم لا تتجاذب النص الأدبى ولكنها تأتيه ، إذن هي تأتيه كأنما لتضيئه من زاوية أخرى ، كأنه إقرار بأن النص الأدبى إذن

كالألماسة ، أو كالجوهرة ، هو وجود مضلع ينعكس عليه النور من زوايا مختلفة .

عبدالفتاح أبومدين :

نعم تنعكس عليه الأضواء .

حمادى صمود :

فعلاً تنعكس عليه الأضواء فتضيء جوانب منه ، لا محالة ، كما قال الأستاذ عبدالسلام ـ هى تستخدمه أحياناً لتبين فيه وجه الالتفات أى عندما يندس المجتمع فى النص ويبقى ملتفتاً الى الخارج ، أى يكون داخلاً خارجاً ، فى نفس الوقت ، والعبارة جميلة التى عبر عنها بالقول : يكون مضمناً فى النص ولكنه ينظر لاويا عنقه الى خارج النص ليعلن عن هذه الصلة القائمة فيه بين داخل النص وخارج النص . إذن صحيح فيها استخدام ، ولكن فيها ما يدل على أن هذا النص تأتيه العلوم تنيره لأنها تعتقد أنه مركب وهذا مهم ، وأنا أعتقد أنه لابد من الإلحاح على أن المنتوج البشرى ، المنتوج الإنسانى ، منتوج مركب ، وبين قوسين إنما نحن نخوض فيه الآن ، ويخوض فيه الناس وخاضوا فيه وسيخوضون ، من أمر الأدب ، المطلع منا على بقية الإنتاج البشرى ، يلاحظ أن الناس المختصين فى ذلك الانتاج يخوضون فى ما نخوض فيه ، مثلاً إذا انتقلنا من هذه الكلية إلى كلية الفنون الجميلة ـ وهى غير بعيدة ـ لوجدنا الناس وهم يتحدثون مثلاً عن النحت وعن التصوير بالألوان يستغلون هذا المنتوج الفنى فى ضروب من الاستغلال . فنجد الدراسة التى تقوم على دراسة اللوحة فى حد اللوحة ذاتها ، ونجد الدراسة التى تريد أن تربط اللوحة بسياق تاريخي معين ، والدراسة التى تريد أن تبحث فى اللوحة عن تعبيرية صاحب اللوحة ، حتى أنه وجدت بعض المدارس تحمل بعض الأسماء الدالة على التعبيرية (L'expressionisme) وهى المدرسة التى رأى النقاد أنك من خلال نظرك فى الأثر تحس بهذا الذى اعتمل فى ذات فان قوق (Van gogh) ليرسمه

على اللوحة . فالحقيقة أنه مشغل يدور على منتجات الإنسان ، على ما ينتجه الإنسان باعتباره كائناً مركباً ، وبقياس بسيط فإن الانتاج المركب هو فى حد ذاته مركب ، ولابد من النظر إليه من زوايا مختلفة ، ولابد أن نتناوله بآليات وبمعاول مختلفة ، وكل آلة ، أو كل معول ، تحفر فى ناحية وتعمق الحفر فى تلك الناحية لتكشف فيه عن أشياء تهمها هى بالدرجة الأولى وقد تعود بعد ذلك بالفائدة على من يتعامل مع الأدب من زاوية الدراسة الأدبية .

أظن أننا بدأنا نصل فى هذه القضية إلى شىءواضح ، هو أن الاختصاصات المختلفة التى تناولت الظاهرة الأدبية تناولتها من جهة أنها ظاهرة معقدة أنتجها كائن عجيب فى تعقده وفى تركبه ، وأنها إذن ظاهرة متعددة الأبعاد ، وألح النقاد منذ الخمسينيات إلى اليوم على هذا ، على أن النص بصفة عامة ، والنص الأدبى بوجه خاص هو نص لا يأتى ليتكفل بالتعبير عن حقيقة سابقة واحدة ، منتهية يمكن أن نتفق فى شأنها أو أن نتخاصم فى شأنها ، وإنما هو نص كأنه يحمل مختلف المعانى ، هو نص يصنع معناه صنعاً ويقده قداً ، وأريد أن أستعمل عبارة الأستاذ المسدي : هو نص ينشىء معناه إنشاء ويخلق معناه خلقاً . ومن ثم يصبح النص جمعاً بعد أن كان الناس يظنون أنه مفرد ، هو جمع ومن ثم يمكن مقارنته من زوايا مختلفة ، هنا لابد أن أقول إنه تحضرنى جملة عبدالرحمن بن خلدون المشهورة العجيبة التى أعتقد أنه لم يقع تحليلها بما فيه الكفاية ، عندما جاء ابن خلدون إلى الأدب قال إنه علم لا موضوع له : والحقيقة أننا الى الآن فيما أعرف لم تلق هذه العبارة أو هذا التعريف من الاهتمام ما هو جدير به ، ما معنى أن يعرف ابن خلدون الأدب بأنه علم لا موضوع له ، هل يعنى أنه يمكن أن يكون موضوعه كل موضوع ، وأنه بالتالى علم « علوم » .

صحيح ما طرحه الأستاذ عبدالسلام بشأن قضية القيمة والحقيقة وأكد على نسبية الحكم فى النقد ، وهنا أريد أن أربط بين تساؤله وتساؤل الأخ حسين الواد فى تعقد لعبة النص والحقيقة ، والنص والواقع ، هذه الآن أصبحت من بسائط الأمور فى الدرس ، فهذه أمور قد ناقشها غيرنا منذ عقدين أو ثلاثة عقود ،

وانتهى تقريباً النقاش بشأنها . إن العلاقة بين النص والعالم والسياق والكاتب علاقة تبين أنها معقدة جداً ، وإن النص وهو متصل بكل هذا منفصل باعتبار أنه يبنى الأشياء حسب منطق لا يجدى فى شأنه الانعكاس والمرآة ، وقد كتب الأستاذ حسين الواد مقالاً معروفاً عن تهافت مقولة الانعكاس . وأن العلاقة بين القيمة والحقيقة ، أو بين النص والحقيقة ، علاقة معقدة وعلاقة تقوم على وسائط عجيبة ، ومن أبرز تلك الوسائط واسطة اللغة ، تودوروف يقول كلمة مضحكة ولكنها مهمة ـ هذا الرجل نحترمه لأنه ساهم فى الدراسات الأدبية مساهمة تعتبر فى زمانها جدية ، يقول : لو كان النص يقول الحقيقة لكان يجب إذا نطقت بالفرنسية بقرة أن أرى بقرة تمشى بين السطور ، وعلى بساطتها تنم هذه الكلمة عن أنه لتبنى الحقيقة فأنت إذن تتوسل بجهاز رمزى ، وهذا الجهاز الرمزى من المنطلق يضع بينك وبين الحقيقة حاجزاً ، باعتبار أنك تنتقل من الموجود العينى الى الفكرة ، والفكرة تنقلها بعد ذلك باللغة ، واللغة ـ على ما يقول الفلاسفة القدامى ـ لا تعكس الفكرة وإنما تقيم هيئتها ، فاللغة نفسها ليست الفكرة وإنما هى هيئة عن الفكرة ، ثم تأتى الكتابة فتكون هيئة عن اللغة ، الى غير ذلك .

فالأمر إذن معقد وكتب فيه الناس كتباً وناقشوا نقاشات مشهورة ، وهناك مؤتمرات عقدت فى فرنسا ، لأننا نقرأ نحن بالفرنسية أكثر من لغات أخرى ، حول هذا الموضوع وتبين للناس أنه لا علاقة مباشرة تقريباً بين الحقيقة والقيمة الأدبية ، أو أن القيمة الأدبية قلما تكون خاضعة لسلطان الحقيقة ، وبين قوسين ان الحقيقة فى حد ذاتها ـ كما قيل ـ هى ربما حقائق ، ليس هناك حقيقة مطلقة لابد أن يرتد النص إليها ، والأستاذ محمد القاضى قد وضع إصبعه على ما يعتبر انكساراً فى المستوى الإبيستيمى ، وعلى ما تقول الدراسات القائمة على الحداثة اليوم ، فإن سبينوزا قد ساهم فى خلق هذا الانكسار والدفع إليه عندما تحولنا من النص الذى يحوى حقيقة مطلقة واقفة خارج النص ـ أى قبله ـ لأننا نستعمل هذه الأمور بعد قرنين ونصف ، لا نشعر بخطورتها ، أما الذى يدرس الصراع الذى وقع أيام سبينوزا حول هذه الفكرة خاصة وقد كانت فكرة متصلة

بالنصوص المقدسة فإنه يدرك خطورة هذه الفكرة ، ومساهمتها فى إخراج النص الأدبى من الخضوع إلى سلطة الحقيقة المطلقة إلى أن يصبح ـ على حد تعبير بعض النقاد ـ فى مهب المعنى ، أى أن يصبح كالنافذة أو كالبيت الذى فتحنا نوافذه تشقه الأضواء والأنوار ويدخله الهواء من كل جهة .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للأخ حمادى ولعل الأستاذ حسين سيعقب وأنا أريد أن أضيف كلمة عن معاصرة النقد للأثر وهو أن القديم ما دام يعايشنا إلى اليوم فمن حقنا أن ننظر إليه ، لا ننقله إلى القرن العشرين ، ولكن ننظر إليه بظروفه القديمة ، مثلاً فى إطار قصيدة قيلت فى مدح أحدهم فأثنى عليها ، يأتى دارس فى القرن العشرين ويتناول هذا الأثر أو هذه القصيدة فيقول إن الشاعر لم يمدح الوزير أو الأمير ، وإنما ذمه ، الرؤية لا أعتقد أنها رؤية القرن العشرين ، لكن هى رؤية مستخرجة من النص نفسه ، فانظر إلى النص مادام نصاً باقياً ستبقى أيضاً هذه النظرة متطورة تتعمق عبر اللغة نفسها ، إلى أعماق هذا الأثر بحيث تحكم عليه ، وقد رأينا طه حسين مثلاً ـ قبل خمسين سنة أو أقل ـ ورأينا العقاد وأمثالهما يدرسون الشعر القديم : ابن الرومى والمتنبى ، ولا يتفقون فى كثير من الأمور مع النقاد القدامى فى الرواية نفسها ، ولا أقول إنهم قد نقلونا إلى القرن العشرين ولكن بنفس الظروف التى عاش فيها النقد والأثر القديم .

حسين الواد :

ذكر الأستاذ صمود أن الأمور تشعبت وكلما تشعبت الأمور أمامى رجعت إلى التاريخ احتميت به ، لكن ليس إلى علم التاريخ لأكتسح به الأدب ، إلى تاريخية المسألة التى نهتم بها ، أى علاقة الدرس الأدبى بالعلوم الإنسانية ، الواقع أن هذه العلاقة ليست بالأمر الحديث أو الأمر الجديد بل هى علاقة قد مرت بأطوار يحسن أن نذكر بالقريب منها حتى لا نرجع فى كل الأمور إلى البدايات ، يعنى مثلاً من بداية هذا القرن الذى أشرف على منتهاه نجد أن علاقة الدرس الأدبى بالعلوم الإنسانية قد مرت بأطوار : منها الطور الأول من بداية

هذا القرن وهو امتداد للقرن الماضي ـ القرن التاسع عشر ـ كانت العلاقة فيه متينة بين الأدب وعلم البيولوجيا ـ علم الحياة ـ ولذلك كانت أكثر الدراسات دراسات نشأة ودراسات تطور ، حتى غرق كل شيء في التطورية .

هذه المرحلة عندما اكتملت أنشأت موقف احتراز منها وهو موقف معروف لأنه يقوم على امتناع القياس بين النص الأدبي والكائنات الحية أمكننا أن نستغني عن سائر الكائنات من جنسه ، أما إذا درسنا نصاً روائياً أو قصيدة شعرية فإنه لا يمكن أن نستغني عن سائر النصوص الأخرى الروائية ، وسائر القصائد الشعرية ، فالنص لا يمثل سائر النصوص وهذا قد لا يعاودها ، وهذا قد أشاعه مندور عندما أخذه عن لانسون في النقد العربي .

الطور الثاني ، ولست أدري إلى أي حد تستقيم عبارة طور لأن الفترة محدودة جداً ثم هي لم تكتمل ، انطلق مع الحركة الشكلانية وهي معروفة وأصبحت منتشرة ، ونحن نعرف أن هذه الحركة قامت على تخليص الدرس الأدبي من التأثر بالعلوم الإنسانية ، ومواقف جاكبسون في هذا الصدد مشهورة الذي يهزأ من ذلك الدرس الأدبي الذي يتحول إلى نتف من الحديث عن العصر ، وعن الجغرافيا وعن الانطباع النفسي ، وقد شبه بالمفتش الذي يبحث فيسأل الجيران ، لقد دعت الحركة الشكلانية كما هو معروف إلى تخليص الدرس الأدبي مما لا يهم درس الأدب ، وحددت موضوع الدرس الأدبي ما هو : ليس الأدب وإنما هو الأدبية .

فالأدبية في عرفهم ـ وهذا تذكير فقط ـ هو ما به يكون الكلام كلاماً أدبياً ، ذلك الشيء الذي لا نعرفه والذي إذا دخل الكلام تحول به من نص في الجغرافيا أو نص في التاريخ إلى نص أدبي ، ونعرف أن الشكلانيين قد صاغوا مسلكاً إجرائياً تناولوا به النصوص الروائية والنصوص الشعرية ثم نعرف أيضاً أنهم صاغوا في مرات قليلة مصطلحات خاصة ببحثهم ، انتهت الحركة الشكلانية في ظروف لم يسلط عليها البحث الأضواء الكافية ولكنها ظروف فاجعة تقريباً ، وإذا بهذه الدعوة التي رفعت شعار تخليص الأدب من العلوم الإنسانية قد فتحت

باب دراسة الأدب أمام اللغة ، بحيث أطردت النفسيات وغيرها ولكنها دشنت لقاء اللسانيين بمجموعة من العارفين بالأدب .

الطور الثالث الذى جاء تقريباً بعد الحركة الشكلانية هو طور زماننا هذا ، وقد طال من الخمسينيات إلى الآن ـ حوالى أربعين عاماً ـ تتحول فيها الأشياء وتتفرغ وتتعقد ، وهو طور يمكن أن نتبين فيه اكتساح العلوم الإنسانية للأدب ، وإذا بنا طيلة النصف الثاني من هذا القرن نجد مناهج كثيرة بعضها يؤسس كيانه على العلوم : علم الاجتماع ، علم التحليل النفسى ، علم اللسانيات ، علم الإناسة ، ونجد مناهج أخرى تؤسس كيانها على بعض الفلسفات : كالفلسفة الوجودية ، والمذهب المادى التاريخى ، والسؤال الذى يطرح هنا هو : ما الذى سوغ لهذه العلوم أن تكتسح المجال الأدبى هذا الاكتساح ؟

نعرف ، وهنا التقى مع الوثيقة التى قدمها الأستاذ عبدالسلام المسدى ، ان الأدب هو أحد الميادين القليلة التى اكتسحتها العلوم الإنسانية بحيث لا نجد فى المعارف ظاهرة مثل الأدب اكتسحتها المعارف الأخرى ، والتساؤل هو عن أسباب هذا الاكتساح ومسوغاته ، ولماذا خص الأدب وحده ؟

أسباب عديدة سمحت للعلوم الإنسانية باقتحام كيان الأدب ، منها ما يرجع إلى طبيعة الأدب كما ذكر الأستاذ صمود ، وهى طبيعة معقدة جداً ، إلى حد أن بعض الدارسين يذهب ـ غير خاطىء ـ إلى أنه لا وجود للأدب موضوعاً للدرس ، وهذا يطابق ابن خلدون ، فالموجود هو الوظيفة الأدبية ، أما الأدب فيكاد لا يوجد ، آية هذا أن الأدب هو الفن الوحيد تقريباً الذى يستعمل اللغة ويستعملها معه سائر المتكلمين ، لكنه يستعمل اللغة بطرائق وعلى أنحاء تختلف عن استعمال الآخرين لها ، ثم إن الأدب يستعمل اللغة لغايات تختلف عن الغايات التى يستعملها لها سائر المتكلمين باللغة : اختلاف فى الغاية واختلاف فى النوعية لكن المادة واحدة ، ثم إن الأدب إلى جانب ذلك هو النشاط الوحيد تقريباً الذى يستعمل فى درسه مادة من نفس جنسه ، الدارس يستعمل

اللغة وهذه اللغة هى المادة التى صيغ منها النص ، عبارة التوحيدى مشهورة : كلام على كلام : كلام الدارس على كلام الأديب ، لكن الكلام يلتف على نفسه .

يوصلنا هذا إلى أن الأدب هو ميدان التحولات ، فلا شيء ثابت فى الأدب ، حدوده غير بينة باعتبار أننا نجد نصوصاً تعتبر اليوم من الأدب ولا تعتبر غداً منه ، ونصوصاً كانت تعتبر من الأدب فى الماضى ولكنها لا تعتبر اليوم منه ، ونصوصاً لم تكن أدبية فى أصلها فأصبحت أدبية ، فحدود الأدب غير بينة ، وهذه الطبيعة المعقدة جداً التى تفضى فى آخر الأمر إلى هذه العلامة التى صيغ منها وهى علامة مشكلة ، فتحت الباب لأن يتناول بعلم اللسان ولكن علم اللسان ، أو المناهج المتأثرة بعلم اللسان ، اكتفت بالجانب الذى يمكن درسه ، أعنى جانب البنية ، وهكذا أصبحت الدراسات التى تتناول البنية متطورة جداً ولاسيما فى الجامعة التونسية التى نعرفها .

يبقى بعد ذلك الانتقال من العلامة إلى المقصود منها ، لأنها مسألة القيمة ومسألة الحقيقة ، بحيث فى آن واحد تبدو المسألة معقدة على النحو التالى : إذا اعترفنا للأدب بموجود خاص ، أى أنه كائن قائم الذات ، فإن اقتحام العلوم الإنسانية له يدعو إلى ما ذكرناه ولسنا مؤمنين به وهو الخوف عليه ، وإذا لم يكن قائماً بذاته أصبحنا ندرس غير ذى موضوع .

إن ما طرح ـ مما ذكره الأساتذة محمد القاضى وحمادى صمود وما ورد فى وثيقة الأستاذ عبدالسلام المسدى ـ حول التساؤل عن معنى الأدب يظل قابلاً للطرح من جديد ، إذا اعترفنا بأن الأدب كائن قائم الذات فيجب أن نبرهن على ما نعبر عنه بالأدب لا يمكن أن نعبر عنه بأى وسيلة أخرى من وسائل التعبير ، ثم يجب أن نبرهن أيضاً على أن الوظيفة التى ينهض بها الأدب ـ فى الاجتماع وفى الفرد ـ لا يمكن لأى وسيلة أخرى من وسائل التعبير أن تنهض بها ، وهذا ندركه حدساً ولكن نفتقر إلى البرهان عليه .

فمسألة العلاقة بين الدرس الأدبى والعلوم الإنسانية المجاورة متنوعة ، لقد ذكر الأستاذ القاضى شواهد طيبة عن ذلك ، ولكن شواهد أخرى عديدة تدل

على أن العلوم الإنسانية عندما تقتحم الدرس الأدبى فإنما تفعل ذلك لتختبر هى بنفسها مناهجها الخاصة بها حتى تدرك شيئاً من الشمولية ، فالغاية ليست درس الأدب ولكنها تريد أن توسع من حدودها ، فهى لا تستعمل الأدب ولا تدرسه ، وهذا يخالف الشواهد التى ذكرها الأستاذ القاضى ، وهى شواهد جيدة ، وخاصة عند شارل مورون ، فعلاقة الدرس الأدبى بالعلوم الإنسانية لا تكون فى رأيى مثمرة على سبيل التظافر إلا إذا تخطينا هذه الإشكالات : الإشكال الذى يدعونا إلى البرهنة على أن الأدب قائم بذاته ، أى أننا نعبر به عما لا يمكن أن نعبر عنه بشىء آخر وأنه ينهض بوظيفة لا ينهض بها غيره ، فهذا مما لابد منه ، الأمر الثانى هو أن هذه العلاقة كأنما توحى بأن الأدب هو وحده المستفيد ، كأنه لا يفيد العلوم الإنسانية الأخرى ، كعلم اللغة والانتروبولوجيا ، ولكنه يستفيد منها ، فعلاقة الاستفادة هذه تطرح أيضاً فى سؤال : هل استفاد الدرس الأدبى فعلاً من هذه العلوم الإنسانية ؟ إذ يصعب منطقياً أن نفهم أن منهجاً من المناهج ، أو علماً من العلوم ، قد تكون وهو يدرس مادة معينة ، وحسب دراسته لهذه المادة كون مفاهيمه ، وكون مسالكه ، ورسم غاياته ، ثم يطبق فى ميدان آخر أجنبى عنه .

عبدالفتاح أبومدين :

الموضوع فى توسع ، وهو توسع محمود ، لأننا حينما نقول إن العلوم الإنسانية أخذت من الأدب ، أو غزت الأدب ، فما هى المعطيات التى تحققت للأدب ، وفى تصورى كما قال الأستاذ حسين ان الأدب استفاد ، فهذه العلوم الإنسانية هى ، حتى وإن اختلفت مسمياتها ، تنسحب عليها الأدبية فى تناوله ، وفى ممارستها وفى أسلوبها ، وفى لغاتها ، فالأدب قيمة أو نبع ، إذا أردنا أن نحقق ، وهى تأخذ من هذا النبع ، ولكنها تأخذ منه وترد إليه ، هى تضيف إليه ، فهى لا تستطيع أن تستقل عنه ، ولولا هذا النبع الأساسى ما استطاعت أن تكون لها هذه القيمة التى هى سنة التطور والمعاصرة والتوسع التقنى والعلم والحضارة والنهضات .

معنى هذا أن الأدب سيظل شاخاً ، وفى تصورى مهما توسعت العلوم الإنسانية وأخذت من هذا الأدب فلن ينتهى هذا الأدب ، لأنه هو النبع ، ولانها رغم أخذها منه فإنها تصب فيه : لأن مسحتها وشكلها ودراستها أدبية وإن اختلفت مسمياتها ، ونعود للأستاذ محمد القاضى لنستكمل الحديث .

محمد القاضى :

أريد أن أنطلق مما انتهى إليه الأستاذ عبدالفتاح فى انتظار أن أعقب على ما قاله الأستاذ حسين الواد منذ حين ، ففكرة أن الأدب يظل شاخاً ويكون هو الرابح هى فكرة يمكن أن ننظر إليها من زوايا متعددة لأننا متى أيقنا بأن الأدب كما ذكر الأستاذ صمود نقلاً عن ابن خلدون هو علم لا موضوع له ، فإن اتساع رقعة الأدب هذه تجعله أكلاً لغيره ، تجعله حيزاً يدخل فيه كل شىء ولكنه لا يستطيع أن يدخل فى أى شىء ، أو إن شئت هو أمر له صلات تشده إلى المباحث كلها ، لكن لا يحق لأى مبحث بمفرده أن يدعى السلطة التى تجعل الأدب داخلاً فيه لا يخرج عنه ، وهذا يذكرنى بقول جون روساى ، يقول : فى هذا الصراع بين الأثر وقارئه أو ناقده تكون الغلبة أبداً للأثر ، لأنه هو الذى يطوق القارىء يهيمن عليه ، ومنذ حين أشار الأستاذ الواد إلى هذه المراحل التى قطعتها علاقة الأدب بالعلوم الإنسانية : وطرح السؤال الذى يتصل بالسبب الذى مهد لاقتحام هذه العلوم الإنسانية حيز الأدب ، وأثار فى الحديث عن طبيعة الأدب ، والحق أن هذا يذكرنى بمحاولات الإحاطة بالأدب : فكلما حاولنا أن نحدد موضوع الأدب بدا لنا أنه لا يحدد ، وفى دراسة تودوروف لمفهوم الأدب قال : أنا أنطلق من شىء لا استطيع تحديده ولكن حسبى أن أقول إن الأدب هو ما يفهمه كل واحد منا من الأدب ، فحين ندخل مكتبة نجد رفوفاً خصصت لكتب الطب ولكتب التاريخ ونجد رفاً آخر خصص للأدب ، فتقول ان الأدب هو ما وضع على ذلك الرف ، أو هو ما يدرس فى كلية الآداب : فى قسم العربية وقسم الفرنسية وقسم الانجليزية .

وحاول سارتر أن يحدد الأدب ، أو الأثر الأدبى ، فقال فى تشبيه استعارى

لطيف : الأدب خضروف[1] غريب ، لا يوجد إلا بالحركة ، ويفسر هذا بقوله بأننا إذا ما حاولنا أن نبرز هذا الأثر الأدبى إلى حيز الوجود لابد لنا أن نتوسل بأداة هى القراءة ، بحيث إن الأثر الأدبى لا يوجد إلا بوجود القراءة ، ولا دوام له إلا بدوام تلك القراءة ، وفيما عدا ذلك لا يعدو الأدب أن يكون حبراً على ورق أو خطوطاً سوداء على ورقة .

فى الحقيقة إننى أخرج من السؤال الذى طرحه الأستاذ الواد : لماذا اقتحمت العلوم الإنسانية الأدب ، إلى سؤال آخر هو : كيف اقتحمت ؟ وقد لامس المسألة فى آخر حديثه ، ويمكن أن نميز فى خصوص تلك الفترة التى أشار إليها واتسمت باكتساح تلك العلوم للأدب بين أطوار داخلها ، ففى مجال النقد الذى يستعين بعلم التحليل النفسى يمكن أن نميز بين مرحلة أولى مثلتها قراءة فرويد للأدب ، وهى قراءات أخذ عليها أنها اتخذت الأدب مطية لغير الأدب لأن فرويد قد تعامل مع الظاهرة الأدبية تعامله مع كلام المرضى وتعامله مع لوحات ميكال أنج مثلاً أو غير ذلك من مظاهر النشاط البشرى أو التعابير الفنية ، فالأدب هنا كأنه رهينة بيد العلوم الأخرى ولذلك سمى النص « النص المطية » أو « النص التعلة » . وهكذا أخذ على بعض العلوم الإنسانية أنها نظرت فى الأدب لتثرى مقارباتها الخاصة بها ، ويستوى فى هذه الحالة الأدب وغير الأدب .

هذه النظرة قد تغيرت شيئاً ما فى فترة لاحقة ، فمع قراءات لا كان أو حتى قراءات باشلار ، أصبحنا نرى شيئاً من رد الاعتبار إلى الأدب من حيث انه كلام له وجود يكاد يكون مستقلاً ، أو هو نوع من التعبير الفريد ، وهذا أيضاً وجدناه فى مجال التحليل الاجتماعى للنصوص : ففرق كبير بين رؤية لوكاتش للرواية وغيرها ورؤية غولدمان الذى لم يعتبر النص وثيقة عن وضع اجتماعى وإنما حاول أن ينشىء ما يسميه بالتماثل بين هذه البنية الأدبية التى تتجلى فى النص وبنية أخرى فاعلة وهى البنية الاجتماعية .

وأربط كل هذا بما أشار إليه الأستاذ عبدالسلام المسدى من تظافر

الاختصاصات بعد تمازجها لأقول إنه يقودنا إلى ثنائية أساسية هى : هل إن اقتحام العلوم الإنسانية للأدب يؤدى إلى تظافر الاختصاصات أم إنه على عكس ذلك يؤدى إلى تضارب الاختصاصات ، ويصلنا هذا بالسؤال الأخير الذى طرحه الأستاذ الواد وهو : ما الجدوى من دخول هذه العلوم الإنسانية حرم الأدب ؟ ومتى حددنا الجدوى استطعنا تحديد موقفنا من المسألة ، والحق أن هذا السؤال ينبغى أن يوصل بما كان أشار إليه الأستاذ الواد والأستاذ صمود ، وهو أن ذلك من طبيعة الأدب نفسه ، فإذا كان الخطاب الفلسفى ، أو الخطاب التاريخى ، أو التحليل الاجتماعى أو النفسانى هو كلام من ضروب الكلام النفعى فربما كان حد الأدب بأنه كلام غير نفعى ، تطغى عليه الوظيفة الجمالية ، مدعاة للتساؤل عن جدوى هذه المقاربات .

فكيف يمكننا أن نبحث عن جدوى مقاربة ما تتخذ موضوعاً لها كلاماً لا يقصد إلى الجدوى أساساً ؟

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للأستاذ محمد القاضى وأريد أن أقول فى هذه العلوم الإنسانية إن هناك نوعاً من الغزو حتى فى داخل الأدب نفسه ، بمعنى أن الرواية فى العصر الحديث غزت الشعر ، وصارت تخدم قضايا الإنسان أكثر مما يخدمها الإنسان ، وهذه قضية ربما نطرحها فى حوار مستقل : شاعرية الرواية ، فالرواية استطاعت أن تحذو الشعر فى العصر الحديث ، لا من الناحية الموسيقية طبعاً ، لكن هى أقرب إلى نفس الإنسان ، النقد أيضاً تحول إلى فلسفة وهذا من طبيعة الحياة ، ومن طبيعة التطور .

موضوع غزو العلوم الإنسانية للأدب يرجعنا إلى أن الأدب كأنه كيان مشاع ، كأنه ضوء يستمد منه ، وكأنه بحر يمنح منه الإنسان ما يحتاج ، لا أقول إن اسم الأدب سيبقى وحده ، ولن ينتهى ، ثم إن الطلاوة التى فى العلوم الإنسانية هى نفسها طلاوة أدبية ، وستظل هذه العلوم مدينة للأدب بكل محتوياته وبكل مضامينه ، والكلمة للدكتور المسدى نعود إليه ليعقب على ما سبق.

عبدالسلام المسدى :

سأكون موجزاً لأقف أولاً وبالذات مؤكداً مرة أخرى على وجاهة الموضوع المقترح فى هذه الندوة من طرف « علامات » . وهذه الوجاهة العينية تتمثل حسب تقديري فى أن إثارة موضوع العلاقة القائمة بين النقد الأدبى وسائر المعارف الإنسانية قد حملتنا على العودة إلى مفهوم الأدب ومحاولة تحديده ، وإلى مفهوم النقد لمحاولة تحديده كذلك ، وهذه العودة ليست هروباً كسائر أصناف الهروب إلى المصطلحات عوداً على بدء لتدقيقها ، وإنما هى بمثابة الرجوع إلى هوية الأدب وهوية النقد لتحديدهما فى ضوء هذا الإشكال ، فهو تحديد نوعى يختلف عن التحديد المطلق الذى يحدد الأدب نفسه ، أو يحدد به النقد نفسه وهو فى حل من هذا الارتباط الطارىء .

كما أريد أن أفيض فى نقطة يوحى لنا بها هذا النقاش الثرى . ولعلها موطن من مواطن الطرافة ، فكأنى بإحدى الوشائج التى بين الأدب والعلوم الإنسانية تظل هى الأبقى ولكنها هى المزهود فيها أكثر من غيرها ، أعنى ما قد تصطبغ به لغة الكتابة فى أى حقل من حقول المعرفة الإنسانية الأخرى من حد أدنى من الأدبية ، وكأنى بأدبية الخطاب المكتوب به علم النفس أو علم الاجتماع أو الفلسفة تراهن بشكل ما على تفوق المعرفة أو تدنيها ، ولِمَ لا أتساءل : أفلا تكون ـ فى بعض الأحيان ـ أدبية الخطاب فى هذه العلوم الفيصل المتحكم فى تفضيل بعضها على بعض ، أو فى اقامة سلم تفاضلى داخل المعرفة الواحدة ؟

أخلص من هذا إلى نقطتين تفضل باثارتهما مدير الندوة الأستاذ عبدالفتاح عندما تساءل فى لحظة من لحظات النقاش عن مدى هوية العلاقة بين النقد الأدبى وسائر المعارف الأخرى ، وهل هى علاقة نقض أو تناقض ، وعندما تساءل عن دور اللغة ، وقد تفضل الإخوان الكرام بالطواف بهاتين القضيتين ، هل علاقة النقد الأدبى بسائر العلوم الإنسانية هى علاقة تكامل أم علاقة تضاد ؟ أرى أنها علاقة مناقضة دائمة ، وأزعم أن مبدأ المناقضة ، والذى يختلف عن النقض والتضاد على أساس أنه بحث عن نقطة الاختلاف ، هو الذى يؤمّن النقد من

خطر يهدده وهو ذوبان الهوية المعرفية كما أشرنا فى ورقة التقديم ، وأدعم رأيى هذا بما نقف عليه من غفلة العلوم الإنسانية الأخرى عن أهمية النقد الأدبى فى تقنياته الاجرائية كما فى مسالكه المنهجية المستحدثة .

ولا يفوتنا أن العلوم الإنسانية الأخرى قد انتبهت ـ فى وقت ما ـ ضمن علاقة هذه العلوم بعضها ببعض إلى أهمية علمين : علم الأجناس البشرية أو الإناسة ، وعلم اللغة وانتبهت إلى أهمية علم اللغة فيما وصله من دقة ، فأصبحت علاقة العلوم الإنسانية الأخرى بهذين العلمين : علم الانتروبولوجيا ولاسيما فى صياغته البنيوية الصورية ، وعلم اللسانيات ، علاقة محاسدة إذ ظلت تلك العلوم تحسد هذين العلمين على ما وصلاه من دقة ، والسبب فى علاقة المحاسدة هى أن انتباه تلك العلوم بهذه الصرامة قد جاء متأخراً ، وأن يقظة الوعى قد تأخرت عن موعدها ، وهو ما أدخل على العلاقة التكاملية بين المعارف الإنسانية ضرباً من الارتباك بسبب هذا الانزياح الزمنى .

لذلك فإنى أزعم ـ بضرب من الاستشراف ـ أن المرحلة القادمة ربما ستتركز على انتباه العلوم الإنسانية إلى تطور النقد الأدبى فى تقنياته ومسالكه ، واستشرف هذا لا بضرب من الترف المعرفى وإنما لاعادة التوازن إلى العلاقة القائمة بتحويلها من مجرد الاستخدام ، وهو متولد عن نظرة استعلائية ـ إلى نظرة الاستثمار وهى النظرة الندية .

فالمنتظر ـ بأيسر عبارة ـ هو أن ينظم زملاء لنا مختصون فى علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ والمعارف الفلسفية حواراً يكون يومئذ عنوانه « العلوم الإنسانية والنقد الأدبى » فيدعوننا يومها إلى مائدة حوارهم .

حمادى صمود :

الأخ عبدالسلام المسدى قد فتح فى الأخير الباب على مصراعيه على مسألة أخرى أخطر وأهم وهى تردنا إلى صلة العلوم المختلفة بالنقد الأدبى .

إن العلاقة ـ مبدئياً ـ بين النص وقارىء النص وليكن القارىء ، ناقداً ، هى

علاقة تأثر وتأثير وإن أدبية الأدب ـ فى أجلى ما تظهر فيه ـ هى فى الأثر الذى تحدثه فى المستقبل ، ولكن المشكلة التى طرحت أمام النقاد هى فى كيفية الخروج أو فى إيجاد علة إلى ما نشعر به شعوراً باطنياً داخلياً لا يمكن أن يتجاوز صاحبه أحياناً ، فكان لابد ـ وهذا هو الطرح القديم الذى طرحه علماء البلاغة سواء كان عندنا أو عند غيرنا ـ هو فى البحث أولاً عن صلة التأثير ، ثم إيجاد العبارة عن تلك العلة إن وجدت العلة .

هذه قضية القضايا التى دارت حولها الأطروحات القديمة فى النقد الأدبى ولذلك فالنقد الأدبى بما أنه لا يمكن أن يستقل بوسائل فإنه مدعو ، مجبر على أن يتوكأ أو على أن يستعمل وسائل من علوم أخرى محاورة لكى يعلل ما هو مجرد إحساس ، وما هو مجرد أثر ينطبع فى ذات المتقبلين ، لأن أكبر موقف نقدى هو الموقف الذى نجد أحياناً فى بعض كتب الأدب القديمة عندما يقول لنا صاحب الأغانى إن فلاناً لما قرىء عليه النص الفلانى فحص فى الأرض برجليه واستلقى على ظهره .

هذا هو الأثر الحق ، الأثر الأدبى الحق ، كيف نخرج من الانفعال إلى تعليل الانفعال ، وبالطبع إلى التعبير عن ذلك الانفعال ؟ هنا السؤال الكبير : هل يستطيع النقد الأدبى أن يقدم وسائله خارج الاستعانة بوسائل العلوم الأخرى المختلفة ؟ لذلك منذ القديم رأينا النقد الأدبى يستدعى اللغة ، يستدعى البيئة ، يستدعى ظروف القول أحياناً ، يستدعى كل هذه الأمور عله يستطيع أن يفسر الأمر ، أنا شخصياً من الذين يعتقدون أن النقد الأدبى لا يستقل بوسائل سبر ، وبوسائل تعبير ، وهو محكوم دائماً بأن يبحث عن وسائله فى العلوم الأخرى ، لا مناص له من أن يتوكأ على اللغة ، أو على البحوث النفسية ، أو على البحوث الاجتماعية وما إلى ذلك بحسب ما يطغى على العصر من تصور وبحسب النظريات التى يتحرك منها النقاد للحديث عن الأدب ، رأينا مثلاً أنه فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان الحديث فى نطاق مقايسة بين حياة الأثر وحياة الإنسان ، وكانوا يلحون تقريباً على العلاقة البيولوجية بين الإنسان وبين الأدب ، ويصنعون أطوار الأدب على أطوار تاريخ الإنسان .

سيطرت بعد ذلك فلسفة أخرى وأمور أخرى ، تغيرت زاوية النظر وأصبح الناس ينظرون إن المسألة من تلك الزاوية .

أشار الأستاذ القاضى فى هذا إلى أمر أعتقد أنه مهم جداً ، هو التحول الذى وقع أيضاً فى صلة العلوم بالنقد الأدبى ، فما نجده عند فرويد يختلف فعلاً عما نجده عند جاستون باشلار ، لماذا ؟ لأن الغاية اختلفت ، إن كان فرويد يعتبر أن النص الأدبى ـ انطلاقاً من تحليله لكثير من النصوص وانطلاقاً من تحليله أيضاً لما يسمى بهذيان هولدر ـ يوصل إلى الوقوف على العصاب القاهر الموجود عند الشاعر الفلانى أو لدى الشاعر الفلانى ، لذلك كان فرويد يستعمل النص الأدبى أو ما يسميه بالهذيان الأدبى كما يستعمل أى صنف من أصناف الهذيان الأخرى .

نجد باشلار يغير القصد لأن القصد عنده يبحث فى مكونات الخيال الذى أنتج ذلك الأدب ، ولذلك أصبح يتحدث عما يسمى بشاعرية الأغراضية ، (أى شاعرية الأغراض الأدبية) وأصبح بحثه عن النار وعن الهواء وعن الماء فى شعر فلان إنما هو طريق إلى بناء مخيلات الشاعر ، ومن ثم مخيال الثقافة التى ينتمى إليها ذلك الشاعر ، نفس الأمر نلاحظه عندما نقوم بمقايسة أو بقياس أعمال غولدمان على أستاذه لوكاش نلاحظ تطوراً مهماً ذكره الأستاذ محمد القاضى فى البحث عن المماثلة ومن وراء ذلك القبض على ما يسميه برؤية العالم عند ذلك الكاتب أو فى تلك الأمور .

المهم إذن هو أن الآليات تتغير بتغير المقاصد وأن العلاقة بين الأدب والعلوم الإنسانية ليست علاقة أحادية مطردة وإنما هى علاقة ، كما قال الأستاذ الواد ـ متحولة وأن هذه الصلة ستبقى فى تصورى متحولة تحول الاهتمام المسيطر على فترة من الفترات فنحن الآن فى فترة يسعى فيها الناس دائماً إلى البحث عما نسميه بالمكونات أو النشأة ، لذلك نجد الدراسات النفسية عند مورون عن مكونات النص المنغرسة فيما نسميه (البسيكاى) أى النفسية العميقة للكاتب .

ونجد علماء الاجتماع يبحثون عما قد يكون فى المجتمع محركاً للنص الأدبى ، ونجد علماء ما يسمى بالأغراضية وهم أحياناً من علماء النفس والفلسفة يبحثون

أحياناً عن المخيال الذى انتج هذا الأدب ، ونجد علماء اللغة ومن توكأ من النقاد على اللغة يبحث عن هذا النص الجمع ، عن الإنشائية ، عن البويتيك ، عن هذا النص الجمع الحاوى لكل النصوص ، المختلف عن كل النصوص ، والذى يستطيع أن يحيط بها وأن يجعلها صورة أو إمكانية من إمكانيات تحقق هذا الخطاب ، فالقضية معقدة إذن وكأننا الآن بدأنا .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً للأستاذ حمادى وأنا أريد أن أقول إنه ليس هناك فى الجهد البشرى ما ينطلق من فراغ ، فهذا مبدأ ، وحتى ما نسميه خلقا فهو خلق من شيء موجود ، والشاعر بشار يقول :

فإن الخوافى قوة للقوادم .

ويقول آخر :

وسالت بأعناق المطي الأباطح .

والنقد لابد له من روافد ، أى لابد أن يأخذ من غيره ، فالأشياء يأخذ بعضها من بعض ، ويصب بعضها فى بعض ، فلا يمكن للنقد الأدبى أن ينطلق من فراغ ، لو لم يكن هناك أثر لما كان هناك نقد ، فأن يتكىء النقد على أشياء يأخذ منها فهذا مبدأ أساسى ، لنستمع إلى الأستاذ حسين .

حسين الواد :

أحب أن أضيف فكرة بسيطة هى أن هذه العلوم الإنسانية وقد وجد كل واحد منها طريقاً إلى الأدب ، وله مبرر ، إما من اللغة أو من الاجتماع أو من الناس ، فلكل علم من العلوم التى اهتمت بالأدب مدخل خاص به ، لكن المشكل الأساسى الذى ظلت العلوم الإنسانية كلما واجهته ارتدت عنه هو مسألة الجمالية ، أعنى ما به يحرك النص الأدبى السواكن ، ويهز النفوس ، ويضطلع بوظيفته ، ويؤثر فكلما وصلت إلى هذه المنطقة شعرت أو أدركت أنها ليست مسلحة للخوض فى هذه القضية لهذا فإن هذه المناهج التى اعتمدت على العلوم الإنسانية تصبح قاصرة عن تناول هذه المسألة ، فمثلا إذا أخذنا علم الاجتماع فما

النص الجيد فى نظره ، وهل هو النص الجيد فى نظر علم الشعوب ، أو أى علم آخر من العلوم .

فكلما وصلنا إلى الجودة التى هى جوهر الظاهرة الأدبية ، وجوهر الكائن الأدبى بدت العلوم الإنسانية غير مؤهلة لأن نقول فيه كلاماً ، أو إن كلامها سيرد عليها مباشرة ، من هذاالموطن يمكن أن نتحدث عن علاقة التكافؤ بحيث يصبح الدرس الأدبى مسهماً لا متلقياً فقط .

لكن المسألة أكثر تعقداً لارتباطها بالكائن الأدبى غير النشاط الاجتماعى ، وهو لا يعترف به اجتماعياً كنشاط ، وهذا غريب ، فالإبداع لا يعترف لك به إلا عندما تدرك إلى موطن الإبداع والجودة ، وفى أكثر الأحيان يكون بعد وفاة الأديب .

لكن من ناحية ثانية ، وهذا ثابت تاريخياً ـ لا نجد شعباً من الشعوب عبر التاريخ ليس له أدب ، فيصبح الأدب شرطاً ضرورياً فى كل اجتماع بشرى ، فمن ناحية لا حياة للمجتمع بدون أدب ، ولكن المجتمع لا يعترف ، ترون أننا كلما فكرنا فى أمر هذا الكائن الغريب العجيب الذى هو الأدب وفى طرق درسه والتعامل معه ، وفى البحث عن الوظيفة التى ينهض بها ، وفى البحث عن ذاتيته اصطدمنا .

يبقى أن المسألة هى مسألة تبرير ، فعندما ندرك الجودة نبحث لها عن المسوغات العقلية كما أشار الأستاذ صمود ، عند ذلك نلتجىء إلى العلوم الإنسانية لأنها تبرر واقعاً ، لا تكتشف واقعاً .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً والكلمة للأستاذ محمد القاضى ، ولنتساءل : لماذا لا يعترف بالأدب رغم أن الأستاذ حسين قال إنه مجال تتراجع عنده العلوم الإنسانية كلها .

محمد القاضى :

إن الحديث كلما تشعب بنا ازداد إمتاعاً ، فى الحقيقة أظن أن العلوم الإنسانية لا تطرح سؤال الجودة ، فهى لا تتساءل عن النص الجيد ، وإنما تسأل ما هو النص المفيد ، أى النص الذى يوصل إلى جملة من الأجوبة التي يطرحها كل علم من علوم اللسان : يعني النص الذي يقدم لنا إجابة قد لا نجدها فى غيره ،

بحيث يكون النص الذى يختاره عالم النفس أو عالم الاجتماع هو النص الذى يفيده ، أى الذى يجيب عن بعض تساؤلاته ، ونحن هنا قد انتقلنا من مسألة واقع العلاقة بين العلوم الإنسانية ماضياً وحاضراً إلى ما سماه الأستاذ المسدى بمسألة الاستشراف أى ما سيكون عليه الشأن فى المستقبل وقد قال قولاً مفاده أن المستقبل فيما يراه سيحمل العلوم الإنسانية على أن تنتبه إلى النقد الأدبى كما انتبه الدرس الأدبى فى وقت ما إلى فضائل علم اللسان مثلاً ، وأظن أن ذلك يحتاج إلى بعض التوضيح ، فعندما نتحدث عن العلم الإنسانى يمكننا أن نجد له مضموناً ومنهجاً أو مناهج ، ولكن ماذا يعنى النقد الأدبى : هل النقد الأدبى شىء يمكن أن يوجد بإزاء العلوم الإنسانية فى مستوى واحد معها بحيث نرجو أن تنتبه هى إليه .

هذا هو السؤال ، وأعتقد أن المستقبل ليس فى أن تنتبه العلوم الإنسانية إلى النقد الأدبى بل أن تنتبه إلى الظاهرة الأدبية وإلى خصائصها ، وبهذا ربما لا أقول إن قدر هذه العلوم الإنسانية فى صلتها بالدرس الأدبى هو المناقضة الدائمة ، بل أقول هو الاختلاف الدائم ، لأن الاختلاف يفترض نوعاً من التعايش ، أما المناقضة فهى تقوم على التنافى ، فكل مقاربة تنفى المقاربة الأخرى .

هنا منذ حين ارتسمت فى ذهنى انطلاقاً مما قاله الأستاذ صمود تركيبة ثلاثية : طرفها الأول الأدب ، والطرف المقابل العلوم الصحيحة ، فالأدب إبداع وفن لا يتقيد بقيود المنطق والعقل ، وبين هاذين الحدين نجد العلوم الإنسانية والإنسان كائن معقد ليس كالصخور أو كالهباءات وإنما هو كائن لا يمكن أن نتعامل معه تعاملاً واحداً كما مع الذرات أو الهباءات عندما ننظر إليها بالمجهر .

فكيف نتصور علاقة هذا الكائن باللغة فى حيز زمانى ومكانى معين ، وكيف ينشىء من هذه اللغة عالماً آخر ، وأعتقد أن العلوم الإنسانية كأنها حلقة وصل بين الفن والعلوم الصحيحة ، وأظن أن هذه العلوم كلما أنشدت إلى العلم نأت عن الظاهرة الأدبية ، وكلما انتبهت إلى عنصر الفن والإبداع والجمال فى الأدب كانت مفيدة فى فهمه .

عبدالفتاح أبومدين :

شكراً جزيلاً ، وأنا مع الأستاذ محمد القاضى فى أن هذه العلوم الإنسانية هى تخدم الأدب ، أو هى جزء منه ، وحتى قيل فى وقت قريب إن التاريخ خادم

للنقد ، فمعنى هذا أن هذا الترابط فى خطين سماهما متنافرين ، وأنا أراهما متوازيين .

وفى نهاية هذا اللقاء المثمر والممتع والجميل فى صرح من صروح العلم ـ فى كلية الآداب بمنوبة وهى جزء من الجامعة التونسية العريقة ـ لا يسعنى إلا الشكر الجزيل للأساتذة الفضلاء عبدالسلام المسدى والدكتور حمادى صمود والدكتور حسين الواد والدكتور محمد القاضى ، على أمل تجدد لقائنا مع هذه الصفوة فى هذه الجامعة حول قضية أخرى من القضايا التى تشغلنا .